

المركز القومي للترجمة



المسروع القومي للترجمة

ج.و.إيرلاند

أندريه جيد

ترجمة وتقديم: مجاهد عبد المنعم

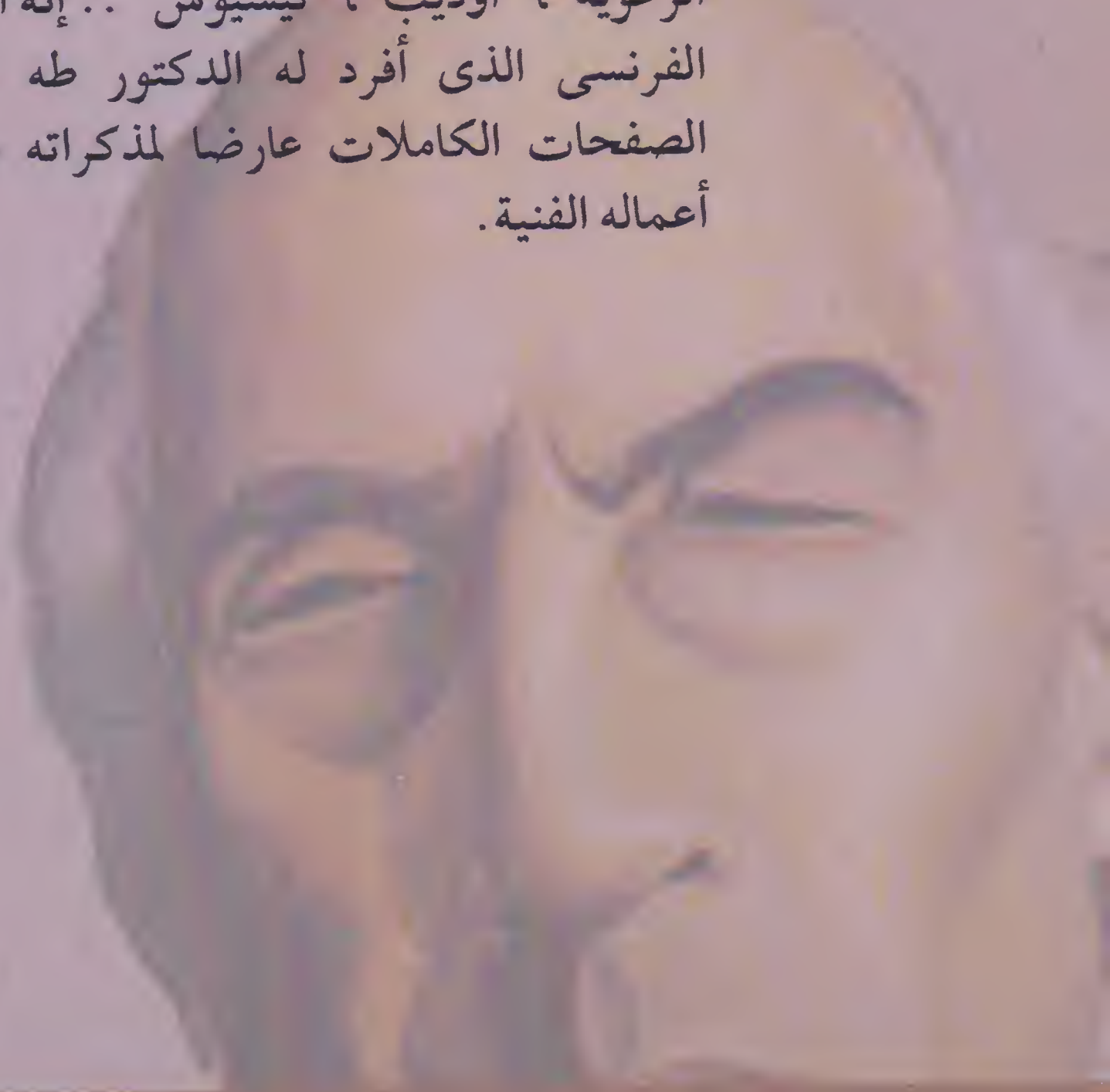
ميراث الترجمة



مكتبة
القراء العرب

1264

من الفعل المجانى إلى الالتزام... من الجنسية
المثلية إلى الشيوعية... من الزواج المستقر إلى
التجوال القلق... من الدراما إلى المذكرات
الشخصية... فى هذا الإطار تكمن المأساة
الكاملة لأديب فرنسا العظيم أندريه جيد الذى
سعدت العربية بترجمة بعض أعماله، ومنها
"الباب الضيق"، "مزيفو النقود"، "السيمفونية
الرعوية"، "أوديب"، "تيسوس"... إنه الأديب
الفرنسى الذى أفرد له الدكتور طه حسين
الصفحات الكاملات عارضا لمذكراته وبعض
أعماله الفنية.



أنظر إليه جيد

المركز القومي للترجمة

إشراف: جابر عصفور

سلسلة ميراث الترجمة

المشرف على السلسلة: مصطفى لبيب

- العدد: 1264

- أندريه جيد

- ج. و. إيرلاند

- مجاهد عبد المنعم

- 2011

هذه ترجمة كتاب:

GIDE

By: G.W. Ireland

حقوق الترجمة والنشر بالعربية محفوظة للمركز القومي للترجمة

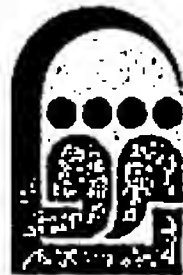
شارع الجبلية بالأوبرا - شجيرة - القاهرة. ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ - ٢٧٣٥٤٥٢٤ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤

El Gabalaya St. Opera House, El Gezira, Cairo.

E-mail: egyptcouncil@yahoo.com Tel: 27354524- 27354526 Fax: 27354554

أندريه جيد

تأليف : ج. و. إيرلاند
ترجمة وتقديم : مجاهد عبد المنعم



2011

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشؤون الفنية

إيرلاند، ج. و.
أندريه جيد/ تأليف: ج. و. إيرلاند، ترجمة وتقديم:
مجاهد عبد المنعم.
القاهرة: المركز القومي للترجمة، ٢٠١١
١٧٦ ص، ٢٠ سم
١- الأدباء الفرنسيون
٢- جيد، أندريه، ١٨٦٩ - ١٩٥١
(أ) عبد المنعم، مجاهد
(ب) العنوان
(مترجم ومقدم)
٩٢٨، ١٤٤

رقم الإيداع ٢٠١١ / ٥٠٥٩
الترقيم الدولي : 978-977-704-502-5
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

تهدف إصدارات المركز القومي للترجمة إلى تقديم الاتجاهات والمذاهب الفكرية المختلفة للقارئ العربى وتعريفه بها، والأفكار التى تتضمنها هى اجتهادات أصحابها فى ثقافتهم ولا تعبر بالضرورة عن رأى المركز.

تقديم

إن الأديب الفرنسي أندريه جيد (١٨٦٩ - ١٩٥١) عندما بدأ إبداعه يغزو فرنسا ثم العالم تسبب في عاصفة على العصر بحكم آرائه الخارجة على التقاليد الأدبية في عصره ، تلك الآراء المنبثقة في رواياته وأعماله الدرامية ومذكراته . وقد اقترن اسمه بقيم الوثنية التي اعتنقها بعد زيارته لشمال أفريقيا بين عامي ١٨٩٣ و ١٨٩٦ وتبدت رغبته في أن يحرر نفسه من المعتقدات الاجتماعية والخلقية التي تربي عليها، وذلك بالنسبة لتربيته البروتستانتية الصارمة والنزعة التطهيرية المتزمّة . وبذلك أصبح شخصاً مثيراً للجدل بسبب آرائه الجريئة بالنسبة لموقفه ضد النزعة الاستعمارية والشيوعية واعتناقه للجنسية المثلية. ومن هنا سمى إحدى رواياته (اللاأخلاقى) وقد صدرت عام ١٩٠٢ .

وأندريه جيد شغف منذ مطلع حياته بالفيلسوف الألماني نيتشه والروائي الروسي دوستويفسكى ، كما تأثر بالفرنسي مونتني والألماني جوته ، كما التقى بالشاعرين مالارمه وبول فالاري. وأندريه جيد كان قد

تزوج عام ١٨٥٠ ابنة عمه مادلين روندو ، ونشأ بينهما نزاع بين صرامتها وتمسكها بالقيم والتقاليد وبين تحرره وما لديه من ميول جنسية مثلية. ومع هذا أنجب من امرأة غير زوجته، مما يثبت أنه لم يكن مصابا بالعقم . ولقد صور زوجته مادلين في روايته (الباب الضيق) عام ١٩٠٩.

وجدير بالذكر أنه فاز بجائزة نوبل عام ١٩٤٧ . ومن الغريب أنه رغم ميوله الجنسية المثلية كان من أشد المعجبين بالإنجيل ، وإن كان يؤمن بالفعل المجاني غير المرتبط بأي قيمة.

وبالرغم من كل هذا كان صاحب نزعة حافلة بالفكاهة وهو غير أناني ، وهو شكاك بصفة دائمة ، ولديه فضول شديد ليتعمق في كل الأمور.

وأندريه جيد، في جانبه الروائي، حقق نجاحات كبيرة، وكان أول نجاحاته في هذا الصدد رواية (الباب الضيق) وقد صور فيها زوجته مادلين. كما اشتهر بروايته (رتش) الصادرة عام ١٩١٤ وقد صدرت ترجمة عربية لهذين العملين. كما اشتهر بروايته (عودة الابن الضال)، وكذلك روايته (إيزابيل) التي يصفها النقاد بأنها رائعة في أسلوبها.

وفى إطار الدراما له (مدرسة الزوجات) الصادرة عام ١٩٢٩،
وله فى عام ١٩٣١ (أوديب) وهى دراما نظرية عن مشكلة خلقية.

وقد كتب أندريه جيد عن بعض رحلاته منها عام ١٩٢٧ (رحلة
إلى الكونغو) وعام ١٩٣٦ (رحلة إلى الاتحاد السوفيتي) .

وبجانب هذا كتب أندريه جيد عن بعض الأدباء من ذلك: عام
١٩٢٩ مقالات عن مونتني، وبجانب هذا كتب عدة مجلدات تشمل
يومياته وذاكرياته بدأها عام ١٩٣٠. ويوصف أندريه جيد بأنه من أوائل
من اهتم بالتيار الرمزي في الأدب ، ولهذا يعد بعد عام ١٩١٨ من أبرز
من عرضوا للأدب الحديث، كما أنه ناقل أثر القيم الجمالية والأخلاقية
لجيل ما بين الحربين.

وهكذا يتأرجح أندريه جيد بين النزعات الروحية والأخلاقية
والإيمان وبين الشطط فى النزعات الجنسية المثلية والنزعات اللذنية .
وهكذا فإن هذا اللامنتمى ظل منتمياً لأصول الكتابة الأدبية والروائية
والدرامية. ومن هنا فإنه هو اللامنتمى، المنتمى هذا متناقض لكنه حقيقي.

المراجع :

The Penguin companion to Literature Vol.2, (١)

Penguin Books-London-1969

:.Reid,Y.M.H :(٢)

The Concise Oxford Dictionary of French Literature,

Clarendon Press Oxford 1979

Seymour-smith, Martin :(٣)

Macmillan Guide to Modern Literdture, Macmillan

Press-1985

القصل الأول

مدخل

ولد أندريه - بول جيلوم جيد في باريس يوم ٢٢ نوفمبر (تشرين الثاني) عام ١٨٦٩ وكان أبوه بول جيد محاميا بارزا من « سيفين » وأمه جوليت روندو هي ابنة أسرة نورماندية ثرية تشتغل بالصناعة .

وكان كلا والديه من البروتستانت : غير أن بروتستانتية أسرة والدته حديثة الاصل بشكل كبير حتى أن الأسرة كانت لا تزال تحتفظ ببعض الصلات بالكاثوليكية لدرجة أن جيد تمكن فيما بعد من أن يصف نفسه بأنه ولد من « ايمانين » كما ولد من جنسين ومن اقليمين وبين نجمين .

وكان جيد وهو صبي مفرم للغاية بأبيه الذي كان رقيقا لطيفا وودودا ولو بعد هذا قليلا عن معايير اليوم « وقد بث في ابنه مبكرا حبه للادب الجميل وخاصة وهو يقرأ له الاعمال الشامخة بصوت مرتفع .

وعلى اية حال ، مات بول جيد عام ١٨٨٠ ولم يكن

ابنه قد تجاوز الحادية عشرة ، ولهذا تربى جيد على يدي
امه وصديقتها « أنا شاكتون » .

كانت « أنا » ، وهي من اصل اسكتلندي ، في البداية
مربية جوليت روندو ، ثم أصبحت فيما بعد رفيقتها
وصديقة عمرها الحميمة . وكانت تبدو كامراة تدعو الى
الاعجاب . ومن المؤكد أن جيد يتحدث عنها دائما باعجاب
وحب . ويرجع الامر الى حد كبير الى تأثيرها . ان جيد
نمى في نفسه وهو طفل محبة للعلوم الطبيعية التي ستلعب
دورا كبيرا في تفكيره وفنه .

وكانت امه امرأة تتميز بطابع معقول وفضيلة لا يرقى
اليها الشك . غير انها كانت متزمتة وضيقة الافق حتى
ان المرء ليعجب ما اذا كانت اضررت ابنها اكثر مما افادته .
فلم يكن مسموحا له بالمرّة - مثلا - ان يحضر حفلا موسيقيا
يعزف فيه روبنشتين موسيقى شوبان ، لان والدته كانت
تعهد موسيقى شوبان « غير صحيحة » . بل لقد اقتضى
الامر تدخلا مليئا بالشفقة من ابنة عم اكبر سنا لكي يسمح
للولد النامي بقدر من دخول مكتبة ابيه .

كان جيد يكن اعرق احترام لامه ، ولكن لم يكن هناك
دفع وتلقائية في علاقتهما بسبب معاييرها الصارمة ومزاجها
المتشدد . وبالرغم من كل المحبة والاعجاب اللذين تتحلى بهما
فانها كانت تبتعث أيضا شعورا بالاستياء لم يكن جيد

يخفيه دائما (١) .

وبعد تعليم أولي مشنت وغير منظم على يد مربين غير مؤهلين إلى حد كبير ، التحق بمدرسة « الزاسيين » وهي مؤسسة بروتستانتية مشهورة في باريس . ولكن سلسلة من الاضطرابات النفسية والعصبية التي يعد الاستمناء أكبر تجل واضح لها ، أدت إلى استبعاده من المدرسة لفترات طويلة لأكثر من مرة بينما طافت به أمه وجه فرنسا بحثا عن « علاجات » مختلفة له .

وبالرغم من معارضة أم جيد الصارمة ، كان لديه عزم من ذي قبل لكي يصبح كاتباً ، ولم يكتف بير لويس (الذي أصبح فيما بعد « لويز ») الذي التقى به بمدرسة الزاسيين بتشجيعه في هذا الطموح ، بل وجد أيضاً الوسيلة لتقديمه إلى الحياة الأدبية في باريس وبصفة خاصة إلى مالارميه (٢) . وكان بير لويس هو أيضاً الشخص الذي قدم أول كتاب لجيد إلى الجمهور (٣) ومن ثم قذف به على طريقه الأدبي .

وعندما كان جيد في الخامسة والعشرين من عمره

(١) انظر « لو لم تمت البلدة » ص ٦٠٧ وما بعدها .

(٢) يعتمد « العرض » الحالي على بارنر . انظر ديلاي : « شباب

أندريه جيد » باريس ١٩٥٨ ، المجلد الثاني ص ٢٧ .

(٣) انظر : أول الفصل التالي .

ماتت أمه وقد تركت له ثروة لا بأس بها . وقد انتهى ارتباطه الدائم بابنة عمه مادلين في أكتوبر (تشرين الاول) ١٨٩٥ بعد خمسة أشهر من وفاة والدته بزواجهما . ولم يكن هناك شيء ملائم يفوق هذا بالرغم من أن مادلين نفسها قد قاومت فكرة الزواج عدة سنوات . ولكن حقائق الموقف كانت أي شيء سوى السعادة والفرح .

فقبل هذا بعامين خلال رحلة الى شمال افريقيا ، اكتشف جيد في نفسه رغبات جنسية مثلية واستسلم لها . وابتان الزواج أمل - دون شك - كما فهم - أن يحمل له الزواج نوعا من « العلاج » ، أو ربما قد يكون الزواج القابل للنمو والتطور ممكنا مع قدر كاف من الحب والفهم من الطرفين حتى مع عدم وجود مثل هذا العلاج . لكن الزواج الذي دام أربعين عاما برهن له يوما بعد يوم كم كان مخطئا . وبالرغم من كتاب جان شلومبرجر الممتع (٤) لا بد من كلمة عادلة عن تاريخ هذا الزواج . لم يكن هناك نقص في الحب ، ان الاعجاب والرقّة متوافران من كلا الطرفين . غير أن الهوة بين الزوج وزوجته كانت أوسع من امكان اجتيازها . ولم تكن الجنسية المثلية عند جيد هي العامل الوحيد المدرج هنا ، بالرغم من أنه كان السبب الأكبر لهذه الهوة . وان قصة حياته حتى وفاة مادلين في أبريل (نيسان) ١٩٣٨ هي الى

(٤) جان شلومبرجر : «مادلين واندربه جيد » وجوهما المختلفة

باريس ١٩٥٦ .

حد كبير قصة تفتح نادر لعبقرية خلفيتها مأساة خاصة
حيث أن ولادة ابنة جيد كاترين لابنتها اليزابيث فان
ريزلبرغ تبدو شاذة بشكل يدعو الى الحزن .

وتتشكل بقية الحياة من تجوال لا يهدأ عبر كل أوروبا
وأفريقيا وهو يعمل من أجل اللاجئين في الحرب العالمية
الأولى ، وخلال وبعد الحرب الأهلية الإسبانية وانضمامه
للسيوعيين لفترة وجيزة .

وفي عام ١٩٢٥ زار الكونغو حيث روعته القسوة التي
تستغل بها الشركات صاحبة الامتيازات ، الوطنيين . وهو
يندد في كتابه « رحلة الى الكونغو » بهذه المساوئ ووافضى
الامر الى ارسال بعثة لتقصي الحقائق أوجدت شيئا من
الاصلاح .

وخلال فترة شهر العسل مع الشيوعيين ، ترأس
اجتماعات ، وألقى خطبا في مؤتمرات ، ووقع بيانات ، وبعث
بتحياته الى المؤتمر الاول للكتاب السوفييت وما الى ذلك .
بل حتى لقد ذهب مع مالرو الى برلين ليحتج لدى جوبلزا
ضد اعتقال ديمتروف ورفاقه الذين برؤوا في محاكمة حريق
الرايخستاغ . وقد قطع علاقته بالشيوعية بعد الرحلة الى
الاتحاد السوفييتي في عام ١٩٣٦ .

أمضى جيد (الذي بلغ السبعين في عام ١٩٣٩) معظم
الحرب العالمية الثانية في شمال افريقيا كمتفرج غير متحيزا

ان لم يكن كمتفرج لا يهتم . وبعد الحرب عاد الى باريس
حيث امضى آخر سني عمره .

وفي عام ١٩٤٧ حصل على جائزة نوبل في الادب .
ومات جيد في باريس يوم ١٩ فبراير (شباط) عام ١٩٥٩
ودفن بعد ثلاثة ايام في كوفرنيل .

الفصل الثاني

أندريه والتر

في أوائل كتاب جيد الاول نجد وضعا نمطيا يدل على الرجل ، وهو محوري لكل أعماله ، حتى انها تشد انتباهنا منذ البداية . ونجد عرضا غير مباشر لهذا الوضع حتى انه يعد شيئا مميّزا . لقد نشر كتاب « مذكرات أندريه والتر » (١) على أن مؤلفه مجهول عام ١٨٩١ وقدم الكتاب على أنه مؤلف منشور بعد وفاة صاحبه وتصدره مقدمة موقعة باسم « ب . ك » أي « بير كريسيس » وهو مرادف لاسم بير لويس (عرف فيما بعد باسم لويز) صديق جيد الحميم من أيام التلمذة . واذا لم تكن هذه المقدمة بقلم جيد فمن السلامة ان نفترض انها مستلهمة بشكل مباشر منه وأنه قد وافق عليها . وفي هذه المقدمة يحكى « ب . ك . » كيف أن ذلك المؤلف « يتحدث أحيانا عن كتاب يعتزم تأليفه:

(١) بالنسبة لدلالة الاسم انظر كتاب جورج بينتر «أندريه جيد»

عمل غريب (علمي وعاطفي) هكذا قال « (٢) » .

هذا الوصف مليء بالمفارقة او التناقض الظاهري .
فكلمة « علمي » تعني التنزه عن الغرض . بالطبع قد يكون
المرء مكرسا للعلم غير ان هذا التكريس ليس علميا . والمفارقة
واضحة بقدر ما هي مقصودة .

وعلى اية حال ، طالما انه لا شيء كامن في حل هذا
الانفراق اكثر من التوفيق بين حب التشريح او البيولوجيا ،
وحب الموسيقى او الشعر فان الامر لا يحتاج الى توتر كبير
فكل صبا جيد شاهد على هذا . غير ان مؤلف « مذكرات
أندريه والتر » اليافع كان عليه ان يواجه هذا الانفراق في
داخل سياق أكثر اضطرابا : الهوة بين الروح والجسد .

في البداية يلوح جيد انه يكتب مثل اي مراقب آخر -
اذا اغضينا الطرف لحظة عن صفة الكتابة ونوعها - ان
الطريقة غير ناضجة ، والمادة مبتذلة ، والخليط البسيط
للافكار « العلمية » الفامضة لا تضيف سوى انطباع بان
الانسان على أرض اليقة .

« بالطبع ، عندما يحلم الانسان بما يفعله الشعر ... »
أكم تنتابه الرغبات ! والاعصاب التي تهتز في سحر الالوان .
تتسبب في قليل من التدفق المتناثر في الوجود .. آه !

(٢) لاحظ في « مذكرات أندريه والتر » الجزء الاول من ١٧ من

المقدمة .

يا للنثر! يا للنثر البديء المنطوي خلف كل هذا . . » (٣)

ان أندريه والتر مثل الكثيرين من المراهقين يفكر في كتابة رواية ، وفي هذه الرواية التي ستسمى باسم «آلان» . فان الهوة بين الروح والجسد تبدو لأول وهلة وقد تصورناها في اطار ساذج وغير أصيل ، كصراع بين النفس التي هي نبيلة تماما والجسم الذي هو منحط بتمامه . وعلى أية حال ، في الحقيقة لا يوجد أي نقص سواء بالنسبة للتركيب الفني أو الاصاله حتى في هذا العمل المبكر للغاية . هناك شيء واحد : المشكلة برمتها التي يواجهها المراهق من جراء الهوة التي نتحدث عنها ، يجري تصويرها لا في اطار المعتقد أو السلوك ، بل في اطار الادب . حتى العلاقة بين المادية والمثالية لها أهمية أولية لأنها تجعل الادب ممكنا . المشكلة في قلب « مذكرات أندريه والتر » هي مشكلة فنان : تأليف كتاب . ان المؤلف يقدم لنا لا على انه شخص يبحث عن مواصلة حياة يختلط فيها العلم والعاطفة ، بل على انه شخص يسمى الى تأليف كتاب يتصالح فيه العلم والعاطفة .

والصور التي تترى بشكل تلقائي أمامه وهو يتصارع مع انفراق الجنسية لدى المراهق هي صور أدبية : « أي (نثر) مبتذل منطوي خلف كل هذا » ، « الزهرة » هي (الشعر) الرائع للنبات » ، وأول اسم يطرأ على باله وهو يتحدث عن الفعل المنعكس هو اسم « موسيه » .

(٣) مذكرات أندريه والتر ص ٤٤ - ٤٥ .

ولو كان كل انشغاله بالادب مجرد احياء للنزعة البارناسية او عينة خاصة من الجمالية الواعية للمصر الزاهي لكان امرا قليل القيمة ، لكن الامر أبعد من هذا . ليس الامر فنا للفن : انه فن للحقيقة . ان على أسلوبه ان يتشكل لا وفق الاعتبارات الجمالية التي تقدم معاييرها بل وفق اهتمام بالحقيقة . الأسلوب ليس شيئا ذاتيا آليا : ان للفكر اشكاله ان الفنان سوف يستشعر (كشكل) حركة افكاره ومشاعره ، وإيقاع جملة لن يشبعه الا وهو يشعر « بأنه متوج ، فيما عدا منحني الافكار الموقعة ، عن طريق علاقة ثانوية » (٤) . واللافت للنظر اكثر : الحقيقة التي يجب ان يخدمها الفن ليست هي الحقيقة الذاتية للعاطفة باعتبارها انكشافا خاصا للقلب له مزاياه بالتالي . ان مراقبنا لا يبحث عن انموذج في الشعراء او الروائيين الرومانسيين : انه يبحث عنه في اسبينوزا !

لقد أدرج اسبينوزا حججه الاخلاقية بالشكل الدقيق الذي تتصف به النظريات الهندسية . والتر يشعر بان مثل هذه الدقة والوضوح يجب أن يخصا الروائي بشكل أكبر مما يخصا الفيلسوف :

« ان الرواية نظرية » (٥) .

(٤) مذكرات اندريه والتر ص ٩٦ .

(٥) مذكرات اندريه والتر ص ٩٥ .

وبالطريقة عينها ، اذا كان اندريه والتر لا يندد بالمثالية،
فانه لا يبتعث شخصا شاعريا غير « تين » حتى يساعده هذا
على تحديد هذه المثالية ويتوصل الى نتيجة هي ان العمل
من الاعمال المثالية هو - كما قال - « برهنة » (٦) .

ان اندريه والتر ، بخليط فعال من جيشان الشباب
والنورانية الرياضية ، يصف روايته المفترضة . كل شيء يجب
ان يرد الى ما هو جوهري . يجب ان توجد شخصية واحدة،
وكل الاحداث يجب ان تقع في ذهنه خارج الزمان والمكان .
والقوى المتصارعة يجب ان تكون متناقضة اكثر منها
متعادية : الروح والجسد . ان صراعهما الذي يجب ان يكون
(مثاليا) - بالمعنى الدقيق الذي يحدده والتر للكلمة -
يجب ان يستلهم ويحظى بصفته الدرامية من جراء عاطفة
مهيمنة وموحدة واحدة : « العمل الفاضل » (٧) . والوصف
الذي يدلى به والتر عن « آلان » لا ينطبق انطباقا تاما على
اي عمل كتبه اندريه جيد بعد هذا : ولكن بالرغم من هذا ،
يفجر بقوة وجلاء مذهلين عددا من المبادئ الفنية الرئيسية
التي لم يتخل عنها جيد بعد هذا اطلاقا .

ان فكرة وجود صرامة رياضية مثالية تتضمن اكبر
غنائية تعطي وتوجه تدفقها ، ظلت مسألة مصاحبة لجيد

(٦) مذكرات اندريه والتر ص ٩٤ .

(٧) مذكرات اندريه والتر ص ٩٥ .

طوال حياته الابداعية ، وتقدم لنا اكبر خصيصة تميز أجمل أعماله .

ان كتاب « مذكرات اندريه والتر » كثيرا ما أبخس حقه . لا يمكن مقارنته بالاستاذية الفنية مع أعمال كتبها جيد في سن النضج ، ولا يمكن انكار الهفوات العرضية في النغمة من الناحية الميلودرامية او العاطفية المفرطة او حتى الجياشة بالعاطفة . ولكن الكتاب دون شك هو عمل من أعمال العبقرية . لا يكاد يوجد أي موضوع لدى جيد الناضج ليس موجودا من قبل في كتاب « مذكرات اندريه والتر » ، وتضمنات الشائبة المحورية بين الروح والجسد لا يجري تقديرها مسبقا على نحو ساذج بالمرّة . من الحق انه في مذكرات اندريه والتر الى « آلان » نجد ان المقدمات التي يقوم عليها هذا العمل مدرجة بشكل ساذج . ولكن جيد - حتى في هذه المرحلة - ليس على الاطلاق ذا هدف مفرد على نحو مؤلف « آلان » . وان القاء نظرة على « مذكرات اندريه والتر » ستكون كافية لتبيان ان الموقف ليس جليا تماما كما يبدو في البداية لوالتر .

يمكن القول بشكل عام ان الكتاب يتخذ شكل يوميات شخصية حيث تحكي قصة حب دنيوي تسير في توازن مع تاريخ روحي ، وفيها تقص علينا في الوقت نفسه رواية يعتزم مؤلف اليوميات ان يكتبها . والحدث الرئيسي كان قد بدأ من قبل عندما تبدأ المذكرات . وبعد وفاة أم اندريه والتر وزواج حبيبة طفولته ايمانويل يقبع وحيدا . وفي هذه

الوحدة يكتب ليخلص نفسه من ماض لا يزال يخيم عليه .
وهذا الماضي مليء بالحب الرومانسي الذي عاشه في طفولته
مع إيمانويل . غير أن الحب الذي يستشعره ازاء إيمانويل
مختلط ومشوش بحب الله ، حيث شجعتة ودعمته إيمانويل
المتدنية بعمق . والنتيجة انفعال لم يشعر مثله كاتب في
عصرنا بمثل هذا العمق الداخلي أو صورته على هذا النحو
الفاتن :

« الحب الورع ، الحب لها تلك التي كثيرا ما تثق بكلا
الاثنين ، في كل مرة تدخلهما هما الاثنين في رباط دائم » (٨) .

وفي الوقت نفسه فان استخدام مصطلح شبه رياضي
« رباط دائم » في مثل هذا السياق يقضح بصيرة واضحة
وراء فرط السرور الذي يوحى بشيء آخر أكثر من الوجه
الصادق . أن نعمة السحر الأسر قوية : ولكن ظل الاحتفاظ
بنوع من التناسب ، وجرى توضيح أن ما يبقى ويسود هو
الحب الدنيوي . أن إيمانويل من جانبها لم يعمها الحب
وهي تصر على أن على أندريه أن يتعلم حب الله لذاته ، لا أن
يبحث عن حب الله فيها . وهو يعدها بشجاعة :

« سوف اتوقف عن مواصلة حبك ... نحن سوف
نتقدم بشكل (متواز) » (٩) (من المستحيل الا تلاحظ

(٨) مذكرات أندريه والتر ص ١٠٦ .

(٩) مذكرات أندريه والتر ص ٨٠ .

المصطلح الرياضي : فقد كتبه جيد داخل اقواس . فهل من الممكن ألا نستشعر وعي المؤلف « بنظرية » وراء توقيده (٩) .

ولكن بعد زواج ايمانويل ، وانعزاله داخل نفسه وحتى بعد ادراكه جوهر الامور الذي هو قسم :

« ... انني لا اعرف اي شخص ... (سوى الجسد » (١٠) . فانه داع بالفعل بأن الصراع بين الجسد والنفس لم يحل على الاطلاق . ان الوحدة ليست ملجأ :

« ان العدو في داخلنا : انه الرعب » (١١) .

اذن داخلنا يكمن عدو علينا ان نتغلب عليه . ولاول وهلة تبدو المسألة واضحة . لما كانت النفس نبيلة والجسد منحطاً ، فان النفس يجب ان تتغلب على الجسد ، والا فان الجسد سيحط من شأن الروح ويستعبد لها .

وعلى أية حال ، عند هذه النقطة يتسلل شك الى عقل والتر المحض :

« وعلى أية حال ، احب ان اعرف ما اذا كان الجسد يستثير الروح ام ان الروح هي التي تستحثه ، ولكي يصارع في النهاية : اي الاثنين يجب ان يأخذ به اولا ؟ » (١٢)

(١٠) مذكرات اندريه والتر ص ٩٠ .

(١١) مذكرات اندريه والتر ص ١٢٨ .

(١٢) مذكرات اندريه والتر ص ١١٠ .

هذه العبارة حاسمة تماما . وعلى هذا الاساس
الفاصل يتخذ والتر وضعه بحذر . وهو يبدأ بشكل واقعي
بتخلي عن الاساس الذي لم يعد متاكدا انه يمسك به .

ان هدف تجمع النفوس وهم ، وهو وهم خطر للغاية .
« ولكي تختلط نفسي بنفسك ، يجب ان اتخلي عن
فكرة الحياة المقاومة ، الوعي بالنفس » (١٣) .

هذا التيقن يعذب والتر . والشعور بالانفصال الذي
يحسه كشيء مادي حتى عندما يشير الى انفصال للنفوس
لا يكاد المرء ان يحتمله . ويبدو انه يصعب ان يتقبل حتميته .
ومع هذا فان هذا السعي نحو المثال الوهمي امر عزيز ، وهو
يتضمن شرطا لا يستطيع ان يتقبله مؤلف « مذكرات اندريه
والتر » : النفس تصبح اذن سلبية .

وان كون هذا لا يستشعر به دوما على انه غير مرغوب
فيه واضح بقدر ما انه ذو دلالة . وفي الحقيقة نجد ان
الوضع المكسي مائل بالقوة نفسها :

« أجل ! ولكن عندما تعرف ، تمتلك كثيرا من العقل
من اجل المعرفة ... »

« اننا نصبح مغمورين في السعادة اللانهائية دون كثير
من تلك (المقاومة الاليمة للنفس) التي نستطيع ان نستشعرها

(١٣) مذكرات اندريه والتر من ٧٢ .

وحدها « (١٤) .

غير أن هذه الفقرة نفسها تواصل القول مباشرة :
« البديل : نيرفانا متلافة ، حيث تصبح (النفس)
كلها مفرمة ومندفعة في الوجد وترعى الإرادة الخاصة بالضمير
لتلاشيها ، ويبدو الأمر كما لو أمكن أن يصبح العدم مدركا
بتلذذ » . وبمجرد أن تبتعث رؤية استسلام النفس -
باشتياق شديد - حتى يبدو أن من الخطر تجنبها بأي ثمن .
وهذا لا يعني الحيلولة بينها وبين الحدوث . وكما كتب
بودلير :

« بصدد تبخر النفس وتركزها .

يكن كل شيء في هذا « (١٥) .

أن كلا الاتجاهين يواجه كل منهما الآخر طوال حياة
جيد الروحية ويقدمان أطروحة من الأطروحات السائدة
لحياته وعمله .

ولكن كان أمام أندريه والتر قرار عليه أن يتخذه ، وهو
يتخذه بعون من شوبنهاور . فقد قرأ عبارة من عبارات
شوبنهاور : « أن من يعرف الكل ولا يعرفه أحد هو

(١٤) مذكرات أندريه والتر ص ١٥٠ (الاتواس من عندي أنا

المؤلف) .

(١٥) المؤلفات الكاملة ، المجلد الثاني ص ٦٤٢ .

(الموضوع) . انه لهذا أساس العالم « ومن ثم لم يستطع والتر أن يسيطر على حماسته . وفي الحقيقة يأتي هذا كعون مائل في مأزقه لانه اذا لم يستطع أن يقنع بفقد نفسه في محبوبه فانه يوحى له بإمكانية الاجراء العكسي : استيعاب المحبوب كلية داخله .

« اذا كفت عن حبي لك ، ستكفين عن الحياة . . . »
طالما ان حبه غير المتجسد لامانويل يرضيه فان الحل يبدو بسيطاً :

« يجب أن أحبك دونما انقطاع » (١٦) .

غير ان هذا الحب قد أصبح الآن مسألة من مسائل الإرادة . وسرعان ما أصبح واضحاً ان الحب يجري التمسك به من أجل ممارسة الإرادة أكثر من ممارسة الإرادة من أجل التمسك بالحب .

« ان النفس فعالة ، وهي مرغوبة ، وهي تجد سعادتها ، لا في السعادة نفسها ، ولكن داخل الشعور بفمالياتها المريدة » (١٧) .

ان الوضع وضع بطولي ، حيث انه محاط بمخاطر مرعبة :

(١٦) مذكرات اندريه والتر ص ١٦٦ .

(١٧) مذكرات اندريه والتر ص ٢٦ .

« لا يجب الخوف من الضعف والا سقطت كلية (١٨) .

وقد يعتزم اندريه والتر ان يتقبل كل نتائج قراره البطولي :

بفضل قوة الارادة لا يجب اطلاقا التوقف عن حب مثاله والحفاظ على وجود هذا المثال : غير ان هناك يدا اكثر براعة هي التي تقود القلم الذي يكتب :

« اذا توصلت الى تأمل الوهم الذي به اثبت حتى تستجلي عيناه السراب ولا تحل محله الوقائع الصلبة ، فان الوهم المخترع يبدو لي حقيقيا ، وما يلوح صورة مستحضرة سابقا ، تلوح لي حاضرة دوما بل انها تفوق الحقائق » (١٩) .

فهل من المستحيل قراءة هذه الاسطر بدون الشعور بأن الوضع لم يعد قابلا ان يدافع عنه المرء ؟

ان ثمن العزلة العقلية غال للغاية . ويجن اندريه والتر ويموت . وجيد - مثل الثعبان - قد غير جلده الاول .

(١٨) مذكرات اندريه والتر من ١٥١ .

(١٩) مذكرات اندريه والتر من ١١٤ .

الفصل الثالث

المباهج الدنيوية

تبع نشر « مذكرات اندريه والتر » عدد من الاعمال - وان كانت اكثر خفة في المحتوى واقل عاطفية في نفمتها عن الاعمال السابقة - تظهر استاذية نامية سريعة في تنظير وممارسة فن الكاتب . والكتابات شبه النظرية او الرسائل - حسب التعبير الذي اطلقه جيد عليها - وهو تعبير ملائم على نحو غريب لهذه الاجزاء الخفيفة - هي « رسالة عن نرجس » (١٨٩١) « محاولة في العشق » (١٨٩٣) و « الحاج » (١٨٩٩) - انما تصاحب بالاحرى او تمهد للروائع اكثر من ان تكون هي نفسها روائع في حد ذاتها . وهي في جوهرها تعليقات على تطور المؤلف اكثر من ان تكون تجسيدا لهذا التطور : غير ان اشراقها لدى هذا المؤلف الشاب امر يدعو الى الدهشة .

تنقسم الآراء بشأن « اشعار اندريه والتر » (١٨٩٢) . هي بالتأكيد ليست من الروائع بالرغم من ان اندريه جيد - الذي عادة لا تنقصه القسوة في الحكم على اعماله - ربما

أظهرها على أنها مناسبة في طبيعتها أكثر مما تستحق .
والرواية الذاتية « الرمزية » « رحلة الى أوربا » (١٨١٣)
لا ينقصها ما يميزها : غير أن انشغال المؤلف بالتجربة
الشكلية إنما يطن غاباته الى حد كبير ، لأنه يجعل الكتاب
أكثر تفككا وضبابية عن حالة العقل الذي اسلهمته .

ويتميز تحرر جيد - لا من الرمزية بل من الكهنوت
الرمزي - بظهور رائعته الاولى التي لا يمكن الشك فيها
الا وهي : « المستنقعات » (١٨٩٥) . ان هذا التهكم المرير
من عقم عبادة الكلمات عندما تنفصل عن الحياة إنما يحتوي
في الوقت نفسه على اعمق التعليقات على المسائل الجمالية
الموجودة في اعمال اخرى : ان المؤلف يعبر عن اثنائه
للتحرر من الوسط الادبي الذي يخنق فيه في اطار رحلة
يضع خطة لها بصفة دائمة . وهو في هذا العمل لا يحقق الا
هربا ضئيلا يدعو الى الشفقة الى ضواحي باريس . في الحياة
الحقيقية ارتحل جيد الى ابعث من هذا . ففي اكتوبر
(تشرين الاول) ١٨٩٣ قام جيد بصحبة الرسام الشاب
بول البيرت لورنز ، بأول رحلاته الى افريقيا . وفي خلال
الرحلة مرض جيد مرضا خطيرا حتى ان معظم فترات الرحلة
ضاع في النقاة . وفي هذه الفترة اكتشف جيد الطبيعة
الحقة لجنسيته واستسلم لنوازعه الشاذة جنسيا لأول
مرة .

ويجري الحديث عن « المباحج الدنيوية » - التي

نشرت بعد عودة جيد من أفريقيا - كما لو كانت نوعا من عرض لمذهب اللذة ودعوة للحسية المطلقة العنان . ويصفب ايجاد وصف أقل ملاءمة .

وفي تصدير جديد كتب بعد أن نشر الكتاب لأول مرة بثلاثين عاما احتج جيد نفسه على سوء الفهم هذا . فيكاد يكون من المستحيل أن مثل قصر النظر هذا غير مقصود . أن ما يراه في الكتاب من ناحيته ليس تمجيذا للمباهج الجنسية بل بالاجرى ترنيمة للزهد الذاتي « اعتذار عن (المنسفة) » (١)

هذه اللذات المستثارة في « المباهج الدنيوية » لا تختلف في طبيعتها فحسب عن الاتباع التقليدي لمذهب اللذة : أن لها أصلا مختلفا وغاية مختلفة .

هذه الغاية وأردة بوضوح في الصفحة الثانية من الكتاب الاول :

« نحن نخشى أنه يجب علينا تماما أن نكتشف الله . ونحن لا نعرفه للأسف ونحن ننتظر أن نجده ، وعلينا أن نواجه تضرعنا . ثم يقول الانسان انه في كل مكان ، لم نولده ، وهو متعذر وجوده ويتم الخضوع له صدفة » (٢) .

وكما في « مذكرات إندريه والتر » لا يزال البحث هو

(١) مقدمة الى طبعة ١٩٢٧ الجزء الثاني ص ٢٢٩ .

(٢) المباهج الدنيوية ص ٦٢ .

بحثاً عن الله . لكن بينما البحث عن الله في « مذكرات أندريه والتر » لا يتطلب فحسب مجهوداً كبيراً ومستمرّاً من جانب الإرادة بل يتطلب أيضاً استبعاداً متعمداً للونائع اليومية ، وهنا يكون العكس صحيح . وفي الحقيقة يصعب أن نتحدث بدقة عن « بحث » ، فما من « بحث » ضروري حقاً .

« لا تمن يا ناتال ، تبين الله أينما تنوجه » (٣)

« أو حيث تذهب ، فانك لن تبين إلا الله » (٤) .
ويكفي هذا لتقبل المسألة ، لكن الله حاضر في كل مكان ،
وروح التقبل الملائمة لا يجب أن يعورها التردد :

« يا ناتال لا تترك في كل لحظة باية رغبة ، ولكن
تمسك بكل بساطة بمسألة ملاقاته . . . ولا تفرق بين الله
والسعادة ، بل ضع كل سعادتك في اللحظة أو الآن » (٥) .

ونحن نملك الله في شكل السعادة ، فان تجربة مكثفة
على نحو كاف من السعادة تشكل في الواقع حالة عبادة .
وهذا هو السبب الذي يجعل المؤلف يعد تلميذه ناتال بال
« بالتوهج » . ولا يهم ما يلهم حالة التوهج ولا أين يتركز .
(كل) الأشياء يجب أن تعبد « دون تمايز » (٦) . وطبيعة

• (٣) ص ٦١ .

• (٤) ص ٦٢ .

• (٥) ص ٧٣ .

• (٦) ص ١٢٤ .

الدافع يمكن الا تكون سوى مسألة غير مهمة . ان كيف التجربة لا يتوقف على طبيعة الشيء بل على حالة الذات . ولما كان « الجوع خير متعة » فمن السهل ان نتبين باي معنى تشكل « المباهج الدنيوية » « اعتذارا عن القساوة » :

« ان من ياكل لا يتمشى ، ومن لا يملك يظل جوعانا » (٧)

ان معظم اللذات المادية المثارة في « المباهج الدنيوية » هي في الواقع من اشدها بساطة : لكنها ترتبط بوفرة من الشهوة والنهم لتقديم اعظم توهج الا وهو العبادة والسعادة ومعرفة او « امتلاك » الله .

ان الشيء نفسه لا يستطيع ان « يمتلك » الله ويتضح هذا منذ البداية :

« ان كل مخلوق دليل على الله » وما من احد يستطيع ان يكشف عنه « (٨) وكما يقول جيد في « مباهج جديدة » بعد هذا بثلاثين عاما :

« ان الله لا يستقر في الشيء ولكنه يحبه » (٩)

ان الموضوع الحقيقي لكتاب « المباهج الدنيوية » ليس الصق بالارض من الموضوع الحقيقي في كتاب « مذكرات

(٧) ص ٨٢ .

(٨) ص ٦١ .

(٩) ص ٢٠٥ .

أندريه والتر « وان جوع مؤلفه وعطشه ليسا من أجل
الثمار الأرضية :

« بل من أجلك أنت ! أنت أيتها الأفكار اللامادية ! ولا
تستطيع أن تسجن أشكال الحياة ومعرفة الله تبر كل
الحقائق » (١٠). وان كل قطرة من كل هذه الوفرة المتدفقة
لها قيمة مماثلة بالضبط تصدر بالمثل من الله . واية قطرة
منها تفيد في الهام فيض الشاعر الذي تشتاق اليه النفس
وتكشف لنا كلية الله وامتلأه .

ان التجارب الروحية - شأنها في هذا شأن التجارب
المادية - تأتينا من الله . وهذه العبارة التي طرحته على هذا
النحو تبدو أكثر من مجرد تعبير عن التقوى البسيطة . وفي
الحقيقة ، على اية حال ، لا يضع جيد المسألة على هذا
النحو البسيط . فهو يصر المرة تلو الاخرى على اضافة
صغيرة ولكنها حاسمة : ان (كل) التجارب الروحية مثل
(كل) التجارب المادية تأتينا من الله . وعلى المستوى
الروحي وكذلك على المستوى المادي ، نجد ان طبيعة الباعث
الذي يولد مركب السعادة - العرفان - العبادة الذي هو
شكل معرفتنا « للتملك » أو الله (يجب) ان تكون مسألة
غير هامة . ان (كل) قطرة من هذا ينبوع الالهى العظيم
له قيمة مماثلة ، وان تفضيل اي قطرة على الاخرى هو
تفرقة عنصرية موجهة ضد الاخرى بطريقة لا يمكن ان يبررها

أي شيء في التحليل الأخير . ولما كانت التجربة المرفوضة
تتيح فرصة مماثلة لما تتيحه التجربة المختارة بالنسبة لفعل
العبادة الذي به يصبح الله معروفا لنا فإن كل رفض هو
رفض لله .

وحتى نتجنب أن نكون آثمين من جراء هذا الرفض،
يجب أن نظل غير ملتزمين (وهو ما يسميه جيد «متحررين»)
بأية تجربة خاصة مادية أو روحية . ومع هذا ، إذا كانت
هناك إرادة كلية مصاحبة لتقبل - دون تفرقة - لكل
الاشياء - كما يجب أن تكون بأية طريقة - إذن فإن التوهم
موضع النظر ستكون له طبيعة عكسية تماما لما يبحث عنه
أندريه والتر للتمسك به بمجهود من جانب الإرادة . وبينما
والتر عازم على البحث عن السعادة « لا في السعادة ولكن
في الشعور بنشاط النفس الإرادي » فإن مؤلف « المباهج
الدنيوية » لا يرى مصدرا ممكنا وحيدا للسعادة الحققة سوى
ما يمكن أن نسميه حالة من السلبية الشديدة ، وليس على
الإطلاق على عكس حالة والتر الذي يرفض والتي يفقد
الإنسان فيها كل شعور « بمقاومة اليمية من جانب النفس » .
وقد وصف أندريه جيد في تصديره عام ١٩٢٧ الروح السائدة
في « المباهج الدنيوية » على أنها الاستعداد « لان نجد في
كبسولة النفس تحقق النفس على نحو أكثر اكتمالا وأكثر
اقتضاء ولا محدودية أكثر لاتاحة السعادة » (١١) .

لقد هدى شوبنهاور أندريه جيد نحو التركيز على النفس . غير أن مؤلف « المباهج الدنيوية » يقدم لثانيات الحالة المضادة - حالة تبدو فيها النفس قصيدة بدون قيود، مدافعا عنها بدون حدود ، قائمة بدون تعريفات .

« انني مريض ولا أستطيع أن أفكر في شيء ... ان الطبيعة تخترقني ، يساعدها في هذا اضطراب في أعصابي ... انني لا أشعر بالمرّة بجسدي محدودا ، انه أحيانا يستمر في مكانه ، أو يصبح مفككا كالسكر على نحو يستثير اللذة ، وأنا اقيم بنيانه » (١٢) . ان قلبه « يسيل » و « يفيض » (١٣) . وبين التجربة المادية والاستجابة الانفعالية لا يوجد خط فاصل : لا يوجد خط فاصل في أي مكان .

واستثناء أي تجربة على أساس انها شريرة جرى مقاومته على أساس أن (أي) تجربة (يجب) أن تبث في الذات حالة اللطافة (السعادة - العرفان - العبادة) حيث يصبح الله معروفا . بمعنى ان الامر يتوقف على الذات .

ولكن لما كان الحد بين الذات والموضوع غير محدد فانه ليس من الضروري التمسك بهذا الجدل . لم يعد في احكام الذات أن تستبعد (أي) تجربة (مهما) تكن الاسس . وعندما يعلن أندريه والتر : « لا يجب أن اتوقف عن حبك

(١٢) ص ١٠٢ .

(١٣) ص ١١٨ .

اطلاقاً . . . » و « التوهج يجب ألا يصف إطلاقاً » فإنه يستجيب لأرادته .

ولم يكتب المؤلف بالمعنى الحرفي لاتخاذ قرار حاسم الكلمات الشهيرة في « المباهج الدنيوية » . « انني آمل تماماً ان أعرف كل الانفصالات وكل الرذائل ، على أية حال أريد ان أعرف منها ما أفضلها ، ان كل وجودي موجه بتمامه نحو المعتقدات » (١٤) .

ولكن اذا لم يكن في استطاعة الذات ان تستبعد أية تجربة ، فإنه بالمثل يبدو خارج قدرتها ان تضم (كل) تجربة ، فالزمن في تفلته الدائم اللانهائي لا يستوعب دوماً كل الامكانات غير المتحققة التي لا يمكن استبعادها إطلاقاً . والخسارة لا تعوض على الإطلاق ، ونستشعر بعمق :

« انني حائق على فرار الساعات . وان ضرورة الاختيار لا يمكن تحملها على الإطلاق ، الاختيار يظهر مقدار انتقائي ، انني مستبعد بقدرة عدم اختياري . انني افهم بفضاعة مقدار محدودية الساعات وأن الزمن ليس له بعد ، هذا اتجاه حيث تكون تمنياتي كبيرة ، وان رغباتي تسير في اتجاه يفتصبها بالضرورة الواحدة تلو الأخرى » (١٥) وليس الامر قاصراً على انه لا توجد فسحة من

(١٤) ص ٦٨ .

(١٥) ص ١١١ - ١١٢ .

الوقت كافية للتمشي مع وفرة الحياة . ان الخط ليس له
الا خاصية واحدة : الاتجاه ، والاتجاه الذي يجري فيه
الزمن هو دائما بعيد عن التوهج ، بعيد عن الله . ان
الاصرار على تجربة ما يعني ابتعاث اسف مباشر على
التجربة التي استبعدتها الاختيار وكلما استطال الاصرار
استطال هذا الاسف الى ان يقوض ويدمر اخيرا التوهج الذي
به لا تكون للتجربة قيمة . والموضوع الذي يضرم النار في
التوهج الذي به وحده يدرك الله يجري استشهاده كحضور
ثقيل يمتلك أكثر مما يمتلك ويعوق ظهور كشف او تجل
لا يترك له موصفا .

« . . . ومع هذا انه يتأمل الله باكبر قدر من الوضوح »
وانني اتبين ان كل شيء في هذه الارض مما اتمنى يكون معتما ،
وان العالم ينقصه ان يكون شفافا ، ينقصه الوضوح حيث
يكف الله عن ان يكون له وجود معقول داخل نفسي « (١٦) .

ولا يستطيع الانسان ان يتبع الله اسفل خط الزمن ،
فالخط يجب هدمه : وتدمير طابعه الحدي .

اذن يجب ان نترك ولدنا عدد لانها من (النقاط) .
ولن يكون حتى تتابعا من النقاط ، لان النقطة ليست لها
لخاصية الاتجاه . ان النقطة الواحدة لا تستطيع ان تفضي
الى نقطة اخرى ، وبين اية نقطتين يوجد حل جذري
للاستمرارية .

فإذا انزاحت خاصية الحديدية عن الزمن فيجب ألا يترك
أمامنا إلا معادل مؤقت من لانهاية النقاط . والتجربة يجب
ألا تكون دائما سوى تجربة « وقتية » . نقطة إشعاع ضد
خلفية مظلمة .

« ياناتانيال ، سوف أكلّمك عن (الآلات) . ماذا تفهم
من أن قوتها تمثل (حضورها) ؟ ... ألا تفهم أن كل آن
لا يأخذ روعته العجيبة إلا بفضل غموض الموت ؟ » (١٧) .

والوعي بهذه الخلفية الخاصة بالموت هو الذي يجعل
الحياة ممكنة (١٨) .

أن جيد الذي يسترشد بهذه المبادئ يجد أن الحياة
فيها نوع من الكثافة المتطايرة من الشظايا حيث لا يجمع
الحياة في التو دائما في لحظة واحدة جديدة . أن ما يسميه
الإنسان الاجتناء هو إجبار مستحيل . أنني لا أفهم كلمة
(الوحدة) ، الوجود هو أنا ، أنه ليس وجودا شخصيا ،
أنني ممتلئ بالناس » (١٩) .

ولكن هذه الطريق للحياة تولد نتيجتين هامتين : من
جهة ، فلكي تكون لدينا لحظة جديدة دائما ، يجب أن
(تتجدد) اللحظات بشكل دائم ، وخارج هذه اللحظات

(١٧) ص ٩٠

(١٨) ص ٩٠ .

(١٩) ص ٢٠٩ - ٢١٠ .

يوجد الموت . ولا يمكن ان ينقذ الانسان من الموت الا بتكثير
لانهائي للحظات التوهج . يجب ان نقع فريسة حالة لا تسمى
من الحذر « . . . حيث لا تتكشف نحو الحياة الا زفرة جديدة
من الرغبات » (٢٠) .

ومن جهة اخرى ، لما كانت الحياة قد ارتدت الى
هذه اللحظات ، وكانت هذه اللحظات متقطعة بشكل كبير ،
فان الحياة تكون متقطعة بشكل كبير ضد خلفية من الموت
تبدو فيها اللحظات على انها توقفات ، ولهذا تكون النفس
متقطعة على نحو كبير ، وكل لحظة جديدة تعيشها نفس
جديدة .

« وهكذا اتعود على (فصل) كل لحظة من حياتي من
اجل مجموعة كلية من المرح والمعزولة ، من اجل التركيز
على جزئية السعادة ، وهي نوع اتبينه اكثر مما اتذكره » (٢١) .

ان النفس وهي متحركة بذاتها داخل اللحظة لا تعود
مقيدة بالنفس الماضية التي نسبتها ولا تعود مسئولة عن
النفس المستقبلية التي لا تستطيع ان تتكهن بها .

ان مؤلف « المباهج الدنيوية » يظل امينا مع مذهبه ،
وكتابه يشغل لحظة في حياة مذهبه . ولكنه يجب الا يكون

• (٢٠) ص ٢١٥

• (٢١) ص ٩١

مقيدا بأي شيء قد يعطى له ويجب الا يلزمه بشيء . وكلاهما
يجب أن يكون حرا من علاقة الاستاذ بالمذهب :

« ياناتانيال ، في اللحظة الراهنة دع كتابي حرا .
اتركني . اتركني ، الآن أحلف عليك دعني » (٢٢) .

الفصل الرابع

اللا أخلاقي والباب الضيق

التكملة السليمة لكتاب « المباحج الدنيوية » لا نجده في « بروميشيوس مقيدا » — وهو كتاب سنعود اليه فيما بعد — ولا نجده في الاعمال الثانوية في التاريخ نفسه « فيكوليت » أو « الحاج » ، ولكن في الكتابين التوام « اللا أخلاقي » (١٩٠٢) و « الباب الضيق » (١٩٠٩) وذلك لانه لو كان كتاب « المباحج الدنيوية » تعبيرا غنائيا سديدا عن مرحلة من تطور جيد فانه قد ترك لنا سؤالا هاما دون جواب .

ان كتاب « المباحج الدنيوية » هو فعل من افعال التحرر : انه للغاية تحرر النفس من النفس . لقد افضى تقويض التصور الاتجاهي للزمان — كما رأينا — الى تقويض استمرارية النفس ومن ثم افضى الى اختفاء فكرة الهوية . ان النفس ذات حركة ذاتية داخل اللحظة أو الآن : لكنها لا تستطيع أن تبقى بعد اللحظة أو الآن ، أي انها لا تستطيع أن تحتفظ في لحظة أخرى بالهوية التي منحتها اللحظة الاولى وعاشت فيها .

ومع هذا ، لو ان النفس قائمة في الآن وعن طريق الآن ،
اي اذا كانت ممتدة مع الآن فباي معنى ومهما تشكلت تظل
باقية او تستطيع ان تظل باقية على الاطلاق ؟ « ان معرفة
التحرير ليست شيئا ، والصعب ان تكون هذه المعرفة
حرة » (١) .

ان كتاب « سول » - الذي يجري فيه اضفاء الطابع
الدرامي على تحليل النفس - قد كتب من جراء اقتناع مريب
بان « المباهج الدنيوية » لم تغلب على هذه الصعوبة . واضح
ان هناك احتياجا من نوع ما يحصل على التصور الاتجاهي
للزمن غير الفكرة البسيطة الخاصة بالان المعزول . واذا أمكن
اظهار الآن على انه يحتوي على قوة دينامية تؤكد اختفاء
الآن وتستدعي الى الوجود آنا آخر ، يمكن للنفس ان تتعزز
في اي شكل ضد مزاعم التجربة الآنية لتثريها للنفس
واستنفادها اياها . وكما رأينا لا توجد في الممارسة الا مثل
هذه القوة . انه وعي مزدوج مائل في الاستهلال الخاص
لكل آن : وعي بخلفية الموت الذي يكتسب الآن هويته ضده
ووعي بالامكانات المنافسة التي يستبعداها الآن .

هنا نجد لب عملية جدلية يتبعه كتابا « الا اخلاقي »
و « الباب الضيق » بحركة تصوير بطيئة حتى نتبين على
نحو اوضح في هذين الكتابين اكثر من اي عمل آخر لجيد
طبيعة الجدل الذي يشكلها جميعا .

(١) الباب الضيق ص ١٥ .

في هذا الجدل نجد قضيتين متفارقتين ومتناقضتين
تواجه كل منهما الاخرى حتى أن كلا منهما ليس لها معنى أو
قيمة بدون الاخرى . وإذا اشرنا الى الاطروحة الكبرى لكل
كتاب على أنها « القضية » المعروضة فيه سوف نتبين كيف
أظهر جيد بجلاء عناصر عرضه .

انه يدرك بوضوح صعوبة تأكيد أن الكتابين يحققان
بالتفصيل المتطلبات التي ذكرناها من ذي قبل ، وكل منهما
يقابل بالضبط المفهوم الهيجلي عن « الآن الجدلي » . أن
القضايا التي يحتويان عليها قضايا متزامنة . ونظرة على
« اليوميات » يوضح هذا :

« ألم اغرك بأن هذا الكتاب هو صنو لرواية (اللا اخلاقي)
وأن كلا الموضوعين يتعاظمان بشكل تناسي داخل
نفسى ١٠٠٠ » (٢)

« أن (التزامن) هو ما كتبه » (٣) .

وأن شهادة جيد تتكرر وهي ليس لها مثيل .

والقضايا موضع النظر لا يمكن أن تنفصل عن بعضها
أيضا .

« أن الموضوعين يتعاظمان في آن معا داخل روحي وأن

(٢) المذكرات ص ٢٦٥ - ٢٦٦ .

(٣) المذكرات ص ٤٢٧ .

تطرف أحدهما قائم في تطرف الآخر وهذا يولد سرا ،
والموضوعان الآن متوازنان « (٤) .

وبالتأكيد :

« انني ما كان يمكنني ان اكتب (الا اخلاقي) ما لم
اكن قد كتبت (الباب الضيق) » (٥) .

واذا تركت لنا فسحة للتبسيط الذي يقتضيه الايجاز
فان الفحص الادق للكتابين سوف يبين انهما متعارضين
تعارضاً شديداً .

الشخصية الرئيسية في كتاب « اللااخلاقي » هي مؤرخ
شاب اسمه ميشيل . لقد رباه أب مولع بالدراسة في جو
دراسي انسحابي من العالم . وبالرغم من جهل يكاد يكون
تاماً بالحياة ، تزوج . وتبدأ حكايته في اللحظة التي يشرع
فيها هو وعروسه الصغيرة في رحلة شهر العسل في شمال
افريقيا .

ويقع ميشيل فريسة مرض خطير ويولد فيه منظور
الموت لأول مرة وعياً بالحياة .

« لقد فكرت من قبل انني افهم انني احيا .

(٤) المذكرات ص ٢٦٥ - ٢٦٦ .

(٥) المذكرات ص ٢٧ .

ويجب أن تعمل من أجل الحياة المثلثة « (٦) .

ان الحياة - عند هذه المرحلة - تتحدد سلبيا ، مقابل الموت . والرغبة - اذا كانت هناك رغبة - يجري التعبير عنها بأحسن ما يكون على أنها رغبة (في عدم الموت) ، والصحة لاول وهلة ليست اكثر من وسيلة لتقديم مقاومة فعالة ضد الموت . ان ما يجذبه فوق كل شيء للأطفال العرب الذين يتحلقون حوله هو وفرة الحياة التي يطالعها فيهم .

وزيارة واحد منهم تولد فيه التعجب :

« آه ! كم يبدو رائعا ! ان ما أتبينه هو : الصحة والسلامة . ان صحة هذا الجسم الصغير جميلة » (٧) .
وبمهارة مميزة - يكاد الانسان يقول « بمكر » شديد - يقدم المؤلف عنصرين جديدين في مفهوم الصحة : الحب والجمال . « الصحة » يجب أن « تحب » (وليس فقط تقابل الموت) لان « الصحة » جمال . وضبابية هذين المصطلحين متعمدة وسوف يجري استغلالهما تماما .

وفيما بعد يبصق ميشيل دما ويندهش ان يجد في نفسه ردود فعل من الخوف والغضب . وفي التسمية

(٦) اللااخلاقي ص ٢٨ .

(٧) اللا اخلاقي ص ٢١ .

الغريبة للتفسير الذي يقدمه لنفسه هناك نفمة تكاد تكون
نفمة الخطر .

« واحسرتاه ! ان هذا هو ما بداته ! لقد احببت
الحياة » (٨) .

ان الباحث الاولي لتفضيل الصحة على المرض اصبح
انكشاف جمال الصحة في شخص الولد العربي . ويتخذ
هذا الانكشاف شكلا اكثر دقة عندما يحدث ان يقطع
الصبي نفسه بسكين ، وفي التوتر الاكبر لرد الفعل عند
ميشيل نجد ان الانتقال من موقف سلبي الى موقف ايجابي
يتكامل بشكل مقنع . ان ميشيل ما عاد يسعى الى (الابتعاد
عن) الفناء ، بل يسعى (الى) الوجود . ومurray دم
الصبي النقي الدافئ يملأ ميشيل برغبة يائسة في الحياة .
انه يجز على اسنانه ويتوتر فيه كل عصب وهو يركز
كل وجوده على « هذا الجهد نحو الوجود » (٨) اذن على
حافة الموت يتولد انفعال جديد - انفعال بقوة دافقة
هائلة - وميشيل يحاول ان يتوافق معها وهو يستوعب
موقفه ويستخلص نتائجه .

« من اجل الزمن يصبح شفائي دراستي ، وواجبي
هو سلامة صحتي ، يجب ان ارثي على نحو طيب واسمي
الاشياء بشكل (سليم) وكل من حياني واهملني واراخني

(٨) اللااخلاق من ٢٢ .

انما يعمل على عدم شفائي « (٩) .

وبهذه البراعة نفسها كما من قبل يقدم المؤلف في تاريخ الحالة عناصر تتجاوز تضمينات هذه الحالة المباشرة. فلم يكن أمام ميشيل أن يبحث عن وسيلة لاستعادة صحته الجسدية فحسب ، بل كان عليه أيضا أن يسمي هذه الوسيلة (الخير) (ما بين أقواس من وضع جيد) ولا يقتصر الأمر على أنه يجب عليه « أن ينسى » ما لا يتفق مع هذه الغاية ، بل عليه أيضا أن « ينبذه » .

وهو بتلاعبه على المعنى المزدوج لكلمة فضيلة ينقل هذه العملية الى مرحلة أبعد :

« لم أستطع النوم هذه الليلة ، نظرا لان ضغط فضائي الجديدة قد استثارني » (١٠) .

وهناك التباس مشابه يحمل الراوي الى مرحلة تالية في العملية التي يصفها . يجري الشعور الآن بـ « الحياة » على أنها تسير درجات وهذه الدرجات - كما جرى الاقتراح في التو - هي درجات (كيفية) :

ان ميشيل يتحدث - في اطار مادي - عن حساسيته المفرطة . وعندما كان مريضا كان يعاني بشكل كبير من ثقل

(٩) اللا اخلاقي ص ٢٢ - ٢٤ .

(١٠) اللا اخلاقي ص ٢٥ .

الجو . ولم يكد يكف عن العرق حتى بدأ يرتعش . وكان يكفي سقوط قطرة ماء على قدمه حتى يرتعد من البرد . وبعد تماثله للشفاء أصبح حساسا كما كان قبلا بالنسبة للحر او البرد ، وكل هذه الحساسية لا تحمل اليه الآن الا الابتهاج . قد تكون الحساسية مصدرا للابتهاج بقدر ما هي مصدر للعذاب « وذلك يتوقف على ما اذا كان الجسم قويا او واهنا » (١١) . وان مصطلحي « قوي » و « واهن » بهما ، بطبيعة الحال ، شحنة انفعالية مميزة تمارس لصالح الاغراء الخلقي .

ومن الواضح ان هناك ايعاء بان الجهاز (يكسب) عن طريق القوة ، وما يكسبه هو مقدرة على استيعاب البواعث القوية وتحويلها لصالح الجهاز . والمقابل الواضح يمكن ان يتقرر بقولنا انه كلما كان الجهاز اقوى أصبحت شهيته « اكثر صحة » .

وسرعان ما يبدو له « بشر » - اول محمي ميشيل من العرب - « غير ملائم » . وخليفته مكثر - في الاتجاه الذي يسير فيه الآن ميشيل - يشكل في الحقيقة « تقدما » على سابقه . وهذا هو مغزى القصة المتحققة بجمال في الكتاب .

وذا ت صباح ، عندما كانت زوجته مارسلين غائبة ،

(١١) الاخلاقي ص ٢٧ .

يراقب ميشيل مكتبر الذي كان يعتقد انه غير مراقب (او هكذا يعتقد ميشيل في ذلك الوقت) فاستولى على مقص يخص مارسلين . ولم يفعل ميشيل الذي كان يراقب حركات مكتبر في مرآة شيئا لتفتيشه ، بل بالعكس يجد نفسه وقد استحال الى حالة غريبة من الجمود حيث لا يلعب الشعور بالاستنكار أي دور .

« لقد خفق قلبي بشدة للحظة ، ومع هذا فان اكثر تعقلاتي الحكيمة لم تتمكن من ان تثبت في الشعور بالنمرد . حسنا ! انني لم اتمكن من ان ابرهن على ان الشعور الذي ثبته حينئذ قد حمل شيئا . . . من الفرح » (١٢) ويتبع ميشيل لمكتبر عديدا من الفرص لاختفاء المقص في روب الحمام الخاص به . وعندما تفتقد مارسلين صدفة المقص تخترع قصة او اخرى تبرر اختفائه .

هذه الحادثة حاسمة . الارتفاع في شدة الحساسية ، والاثارة التي يعيشها ميشيل والذي هو الآن « مستعد » ان يراها بكل بساطة كزيادة في الحياة . ولهذا كشيء يجري الترحيب به انما يستمد قوته في لا اخلاقيتها . ولهذا فان الاخلاقيات تبدو كقوة تقييدية بها تفتقر الحياة وتلاشى دوما .

ان ميشيل وهو يتأمل الآن في فقر مشاعره قبل مرضه

(١٢) الاخلاقي ص ٤٩ .

يرأها وقد كبتت وأصبحت في الخلفية :

« انها تحيا ! انها لا تكف عن الحياة ، انها تكتشف حياة مستترة وماكرة » (١٣) .

وتبدو « سنوات الدراسة » هنا كقوة تقييدية . لقد قهرت الحياة وكبتت في العالم السري . وهذه الحياة هي التي تهم ميشيل الآن . هذه هي الحياة الوحيدة التي تهم حقا ، لانها هي الحياة « الاصلية » .

ان الحياة لصالح أخلاقيات تقليدية قد جرى تجاهلها الى حد كبير او جرى اخفاؤها او حجبها ، وعندما أصبح ميشيل واعيا بها سيطرت عليه جدتها . ان الشخصية التقليدية التي ربطه بها المجتمع هي قوقعة خالية ، وليس هذا هو ما يبحث عنه . ان ما يبحث عنه ميشيل هو « آدم القديم » الذي رفضته الاناجيل والذي يسمى كل عنصر « محترم » في المجتمع الذي يعيش فيه ان يكبته .

ان « هذا الوجود الثانوي المعروف » (١٤) الذي أثقلت به تربيته نفسه البدائية لا يصبح الا عقبة في طريقه ، ويعتزم ميشيل ان يخلعه . وعلى اية حال ، يجد جيد أنه من الضروري تعزيز هذا الوضع القائم على المغامرة . وهو يفعل

(١٣) اللااخلاقي ص ٤٣ .

(١٤) اللااخلاقي ص ٥٥ .

هذا بالإشارة الى مناقشة سابقة ، مناقشة حول النمو
والمقدرة .

» ... لقد حصل هنا على الشفاء ، لقد حصل على
النماء ، حصل على تجديد الحياة ، حصل على تدفق الدم
بشكل أكثر غنى وأكثر حرارة مما مس افكاري، مسها واحدة
اثر الاخرى ونفذ فيها جميعا فأهاجها ولونها ، لون أكثر
خيوط وجودي تباعدا وأكثر خيوط وجودي دقة وأكثر
خيوط وجودي امتلاء بالاسرار « (١٥) .

ان نزعة ميشيل اللا اخلاقية هي تمرد فعال ضد
اخلاقيات قائمة على « فكرة السماح والدفاع وسط ما هو
متعسف » (١٦) : لكنها أبعد ما تكون عن رفض أحكام
القيمة . بل بالعكس ، انها مكرسة منذ البداية لاكتشاف
واتباع القيم « الاصلية » . وعلى اية حال ، فان سير
الاحداث منذ البداية مما يمكن التنبؤ به بما يتمشى مع
النظرية السابق تطورها . ان القوة الجديدة ستقتضي جهودا
جديدة ، والمقدرة الزائدة ستحتاج الى اشباعات لم يشعر
الجهاز الاضعف بحاجة اليها وهذا يعني في الحقيقة انه لم
يستطع أن يتمثلها .

ويجري الأيحاء بجلاء ببعض من طبيعة المستقبل الذي

(١٥) اللا اخلاقي ص ٥٦ .

(١٦) ذكريات ص ٣٦٨ .

يتكهن به عندما يتفكر ميشيل في كيف يؤثر سلوكه في مارسلين . لقد خلق لحيته وسمح لشعره ان يطول ، وتستلفته جدة مظهره الجديد باعتبارها انذارا بالامكان على الاقل من وجهة نظر مارسلين . غير ان الحب - كما يعتقد - يعمي مارسلين عن التغير الذي يحدث فيه . وهو في كل حدث يعيد تأكيد نفسه لها قدر امكانه ، وهذا التمثل يكلفه جهدا لاول مرة : ولكن مع نمو قواه فان الشعور بالجهد يتناقص الى ان يكف عن تقديم صدمة تأثيرية لتقدمه الطائش .

ولما وجهت اليه الدعوة ليحاضر في « الكوليج دي فرانس » فانه يعود الى دراساته التاريخية . لكن الحضارات القديمة التي سبق له ان اعجب بها تجذبه على نحو اقل من القوى البدائية التي اضعفتها هذه الحضارات او اخفتها . ومن ثم يجد ان من الصعب ان يعزز اهتمامه بالماضي :

« انني لا اجد مذاقا فيما مضى ، ومذاق اللحظة لا يزيد عن يوم ، غير ان المستقبل يطيح بسحر الحاضر بقدر ما ان الحاضر لا يطيح بسحر الماضي ، ومن ثم كانت ليلتنا في (سورنت) ... ان حبي ، حياتي ، انما تنقذف نحو المستقبل » (١٧) .

ومن الواضح من قبل انه لا يستطيع ان يواجه مستقبلا

(١٧) الا اخلاقي ص ١١١ .

لا يجري التعبير عنه في إطار النمو . وكما يقول لمينالك :
« انني هكذا مهينا لان اقطع سعادتي .. » ومع هذا
فانني انمو ... » (١٨) .

وان ما كان نادرا ثم وافرا قد أصبح في الواقع شديد
الوفرة . والحياة عند ميشيل تكاد تكون الآن طائفة -
بالمعنى الحرفي - على حدود شخصيته . ولم يعد يكفي ان
يعيش تجاربه ، عليه ان (يستشعر) الآخرين وان يقاسمهم
حياتهم .

(والمشاركة العاطفية) لدى ميشيل لها طابعان ، فمن
شدة الوفرة التي عنده تتدفق الحياة . وهو - على سبيل
المثال - يجلس بجانب زوجته المتوعدة :

« كم من ليلة سهرت لاجلها ! اظل مثبتا نظري عليها ...
وانا آمل بقوة الحب ان ابث قليلا من حياتي في حياتها » (١٩) .

والعملية العكسية تظهر بشكل لا يقل قوة . فميشيل
في صدمته يفكر في المشاركة الوجدانية التي تربطه على نحو
أكثر بعمال المزرعة الذين يعيش وسطهم .

« انني اشعر بين ذراعي بقوة التحريك ، ... اشعر

(١٨) الا اخلاقي ص ١١٢ .

(١٩) الا اخلاقي ص ١١٧ .

بانزلاق في حلقي ... انني اشعر بقوة الدفع ... » (٢٠) .

انه في سعيه النهم بحثا عن التجربة « الاصلية » انما يسعى دوما للنفاذ من خلال القشرة الخارجية للمظاهر التقليدية الى الثروات الرائعة التي تخفيها المظاهر . ومن المحتم ان تظهر هذه الثروات كثيرا بشكل معقد ، فان دافع المجتمع هو ان يخفيها . ولكن هل رفض المجتمع لاي شيء معقد يجري دون تحد ؟

ان كل العناصر التي تتركب منها الاخلاقيات الاجتماعية التقليدية معادية للحياة ، ولا يمكن للنمو الحقيقي ان يتم الا في مواجهة هذه القوى ، والحقيقة الصادقة لا يمكن اكتشافها الا في تنحية هذه القوى جانبا . وتمرد ميشيل ضدها يجري تصويره على انه رسالة ، واعلانه عن الايمان لا تنقصه المظمة :

« وكم من اجابة قديمة تشبع تساؤلي الجديد : ماذا يمكن ان يكون عليه الانسان ثانية ؟ هذا هو ما حمل اليّ المعرفة » .

والمجتمع ، باسم آداب السلوك ، يسدل نقابا على الحقيقة التي تهم طبيعة الانسان ومدى الامكانيات التي يمكن ان تحققها انسانية غير مقيدة ، والانسانية خلف هذا النقاب تختنق ، وتختنق ايضا الثروات الامكانية التي

(٢٠) الا اخلاقي ص ١٢٢ .

لا تصدق . وتمزيق هذا النقاب يقتضي فعلا من أعمال التحدي على غرار بروميشيوس ، وميشيل يقبل التحدي :
« لقد بدأ لي حينئذ أنني أولد من أجل نوع مجهول من الاستكشاف ، ولقد انفعلت انفعالا غريبا في بحثي الذي أجد أنني أجهد فيه الحضارة وآداب اللياقة والاخلاقيات » (٢١) .

وهو بتجنبه لهذه الأمور إنما يتجنب مارسلين بطبيعة الحال .

والسعادة الهادئة التي حملتها إليه زوجته مارسلين لم تعد تتفق مع معياره : لقد نما . ان الامر « كما لو كانت هناك هجمة لا يتبدى فيها التعب » (٢٢) واخفاق مارسلين هو رمز بارز على فشل وحدتهما . فميشيل يجد نفسه بالرغم منه يعتبرها شيئا اشبه بالاشمئزاز . ان توحيده بين الصحة والفضيلة قد افضى به الى رد فعل متماسك ، انه مستثار بمعاملة زوجته الى حد انه يلومها على هذا ، الى ان يراها في النهاية « موصومة » بالمرض (٢٣) ويتعد .

وعلى أية حال مهما يكن الامر منطقيا ومحتما ، فان رفض مارسلين له نتائج على طبيعتهما أو على ثقلهما . فمن

(٢١) الا اخلاقي ص ١٤٨ .

(٢٢) الا اخلاقي ص ١٤٣ .

(٢٣) الا اخلاقي ص ١٥٧ وما بين القوسين من عندي (أي المؤلف) .

الحق أن ميشيل لا يزال يجد متعة في مجتمع التفاهة والمطروحات على أرصفة الميناء . وهو لا يزال يرى في تطور ثرواتها الشديدة أجمل وعد بالمستقبل . زيادة على ذلك ! لما كان غير صبور على استطعام الحياة بقدر الامكان فانه يجبر مارسلين الى رحلات لا تنتهي عبر سطح الارض الى أن يقتلها التعب .

ولكن عندما يستعيد - بعد موتها - ركامات الاشياء على أرصفة الموانئ التي هجر زوجته من أجلها ، فلا يعود يتم هذا بحماسة منقسمة . ان التداعي الذي لديه الآن هو « بقية الانسانية » . وربط الشعور القوي أولا بالصحة ثم بالفضيلة لم يعد مقبولا : « ان وحشية الانفعال تنفذ (ثانية) في عيوني (جانبا خبيثا) من الصحة والانتظام » (٢٤) .

ومن النتائج المتطرفة لمنطق ميشيل يتوصل الى ان : « هناك شيئا ما في ارادتي يتهشم ... » (٢٥) . وفي نهاية القصة يرقد بكل بساطة في قمرة في شمال افريقيا .

وهكذا نرتد الى حيث بدانا :

« لقد انقذت ، هذا ممكن ، ولكن ماذا جنيت ؟ » (٢٦)

(٢٤) الا اخلاقي ص ١٧٠ .

(٢٥) الا اخلاقي ص ١٦٩ .

(٢٦) الباب الضيق ص ٨٨ - ٨٩ .

ان « القضية » التي عرضت في « اللااخلاقي » ببساطة قدر الامكان هي ان اقتفاء الحياة هو عملية نمو حيث تتدعم مضاعفة التجارب الاصلية والثروات . وان اشد التجارب « المعاشة » أصالة هي تلك التجارب المرتبطة بالفساد الخلقي وهذه نتيجة طبيعية لان معايير الخير والشر قد حلت محلها معايير القوة والضعف ، وهكذا أصبح الطريق ممهدا لانفراق أو تناقض ظاهري لن تتضح محتوياته تماما الا بعد ان نتناول رواية « الباب الضيق » .

من الناحية الظاهرية ، رواية « الباب الضيق » هي قصة حب : هناك ابناء عم هما جيروم وأليسا يشبان معا في جو آمن تقوي بين جماعة بروتستنتانية هادئة من الطبقة الوسطى . وعندما كانا لا يزالان طفلين وقعا في الحب ، ويبدو انه لا توجد سحابة تخيم في الافق ومن المؤكد انه لا توجد عقبة في ارتباطهما .

وعلى أية حال ، يقوم جيروم ذات يوم بزيارة مفاجئة لمنزل أليسا ، ويحاول خادم مضطرب ان يحول بينه وبين الولوج ، غير ان جيروم لا يعيره انتباها . واثناء صعوده على الدرج الى غرفة أليسا في اعلى المنزل كان على جيروم ان يمر امام باب مفتوح لغرفة جلوس لوسيل بوسولين ، وبالصدفة يشاهد عملية مضاجعة مراهقة بين أم أليسا وضابط صغير . ودون ان يلاحظاه يسارع بأكبر ما في طاقته الى غرفة أليسا . انه يطرق الباب ، ولما لم يتلق ردا فانه يدخل وكانت أليسا

راكعة في الظلام وظهرها الى النافذة . ودون أن تنهض
تتحدث وتسأله لماذا رجع ؟ فينحني جيروم ليقبلها .

« هذه اللحظة قد حددت حياتي ، انني لم أعد اليوم
أحيا دون قلق . من غير شك انني لا أفهم تماما سبب تعاسة
أليسا ، ولكنني أشعر تماما أن هذه التعاسة قوية للغاية
بالنسبة لهذه النفس الصغيرة المضطربة ، بالنسبة لهذا
الجسم الهش الذي لا يتحمل الشهيق . لقد جلست أمامها
وقد استلقت وهي جاثية ، ولم أعرف شيئا يمكن أن يعبر
عما هو جديد في قلبي ، ومع هذا ضغطت رأسها على قلبي
وعلى جبينها ضغطت شفتي . يا لنشوة الحب ، والشفقة ،
فتضرعت الى الله من كل قلبي انني لن آلو جهدا في الا ادع
هذه الطفلة لفائلة الخوف وغائلة الشر وغائلة الحياة » (٢٦) .

وبصرف النظر عن غنائية هذا النص ، فانه يقوم على
قدر كبير من الحساب المتعمد الشفاف ، ومهما كانت الواقعة
مثيرة للدهشة لأول وهلة ، فليس من قبيل المصادفة أن هذه
القوة تقدم مقابلا دقيقا لحادثة سرقة مكتر للمقص في
« اللاأخلاقي » .

فاذا نحينا في اللحظة الراهنة عنصر الفنائية ، فماذا
نجد ؟ ان زنا لوسيل بوسلين مثل سرقة مكتر هو فعل
لا أخلاقي يتم بطريقة سرية . انه بالضبط فعل من تلك

الافعال التي تكتبها الاخلاق الصارمة في الاعماق والتي تشكل في عين ميشيل برهانا على القوة . (لم يكن جيد يتحمل أن يحمل لو سيل بوسلين بدفء حاسية وذاتية وروح للتحرر - انها تنفث سيجارة عشيقها - مما لا يملك ميشيل الا أن يوافق عليه) .

ان ميشيل وهو يراقب سلوك مكثير يشعر بابتهاج . اما اليسا وهي ترقب سلوك أمها فتشعر بالاشمئزاز . والآن لو كان ميشيل قد شاهد أي سلوك مثل هذا من جانب مكثير في أي وقت قبل شفائه لكان رد فعله دون شك مماثلا في جوهره لرد فعل اليسا في نفس الظروف . وطالما أنه « مريض » ، كانت تكفي أن تسقط قطرة ماء على قدمه حتى يشعر بالبرد . والآن أنه يحل أو قد أحل محل الشعور الواهن شعورا قويا وتتلون استجابته بالتالي . وإذا استطاع أن يجد توهجا وفرحا وتشجيعا في هذه الحادثة فان الامر يرجع الى أنه قوي بما فيه الكفاية لوضع هذا موضع النظر . ولكن ماذا بشأن اليسا ؟ ان مصيبتها « شديدة للغاية » بالنسبة « لهذه النفس الصغيرة الواهنة » ، وهذا الجسد الهش » .

ان التكافؤ الذي يرسم على نحو مطول في « اللااخلاقي » بين الحياة والشر يبدو هنا مرة أخرى . ولكن بينما الكيان القوي سيبحث عن الحياة أينما يجدها فان « هذه الطفلة » يجب حمايتها « من الشر » (من) الحياة » .

اننا نجد كلمة « الفضيلة » في كلا الكتابين ، ولكن
بينما ترتبط في « اللااخلاقي » بالقوة والنمو على حساب
الاخلاقيات ، فانها ترتبط هنا « على نحو غير متميز » بـ
« الحماسة » و « تكران الذات » .

وهناك نقطة اخرى يجب ان نذكرها : عن طريق القبلة
ملتزم نفس جيروم بأليسا ، ان مصيره تحدده لحظة او آن
واحد .

هنا تبرز « اللحظة الجدلية » على خلفية من العدم
وهذا يقابل تيقظ ميشيل للحياة على شفا الموت (من المهم
ان نتذكر ان كلا الدافعين « عند جيد » متزامنان) .

وكما رأينا فان تطور ميشيل هو اضطراد مستمر
تحدد فيه المراحل بشكل حبي : الرغبة في عدم الموت ،
الجهد نحو الوجود ، الحب الظاهر للحياة ، نحو القوة
والرغبة أو الشهية ، المطالبة بمزيد من الحياة الاصلية ،
محاصرة حياة الآخرين ، اسقاط المطالب المتزايدة دوما في
مستقبل لانهائي ... حتى نصل الى كل الارادة .

وتصف رواية « الباب الضيق » اضطرادا مماثلا لكنه
معكوس ، ويصعب تتبع هذا نوعا ما لان بناء رواية « الباب
الضيق » اكثر تعقدا من رواية « اللااخلاقي » : ولكن لن
يشق علينا ان نتبع خطوطها المريضة . لقد انصهر مصير
جيروم بمصير أليسا حتى انه يكفينا في اهدافنا الحالية ان

تركز على اليسا بالرغم من أن هذا يشكل افراطا في تبسيط الكتاب ككل .

ان نقطة الانطلاق في الاضطراب هي محبة الاطفال ، وجيرون يصف طابع هذه المحبة الرومانسي ويوضح انها تقوم على أسس روحية لا على أسس دنيوية ، حتى انه يشعر انه من الضروري ان يبرز استخدام كلمة « الحب » لوصف هذا الطابع للمحبة :

« هذه الطفلة التي قبلتها ثانية ، هل اتحدث اليها عن الحب واسمي هكذا الشعور الذي اكنه لابنة عمي ؟ » (٢٧) .

وخير برهان على الحب هو اكتساب الاهلية داخل النفس وبث الاهلية في المحبوب ، والاهلية في جو التقوى البروتستانتية التي يشب فيها الاطفال لا يجب تمييزها عن الطهر . وفي لحظة من لحظات الذروة في الحكاية تذكر اليس جيرون بهذا (٢٨) . وموقف جيرون في مواجهة الله واليسا هو نفس موقف اندريه والتر في مواجهة الله وامانويل ، واليسا مثل امانويل تبين اخطاره :

« - الست تبذل جهدا من أجل ان تسير وحدك ؟

هكذا على كل واحد منا ان يبحث عن الله .

(٢٧) الباب الضيق ص ٦٥ .

(٢٨) الباب الضيق ص ١٨٥ .

— ولكن عليك انت ان تشير لي الى الطريق .

— ولماذا لا تجد مرشدا آخر للمسيح « (٢٩) .

من جهة بسبب حدوث مثل هذه التفيرات ومن جهة بسبب الاستماع الى موعظة حول نص اعطى للكتاب عنوانه، تبدأ أليس ترى حب جيروم لها على أنه يعرض خلاصه للخطر حيث ان حبه لها على الارض يشكل عقبة في وجه ادراكه والتقاطه لطبيعة الحب الالهي . وكانت قد بدأت في التفكير في شكل ما في التضحية من أجله عندما تقع حادثة تساعدنا على تبيان مجرى سلوكها . لقد علمت ان اختها جوليت قد وقعت في حب جيروم بالرغم من أنه يجهل هذا . وعندما تضحي جوليت دون ما أنانية بنفسها عن طريق « زواج المنفعة » تقرر أليسا حتى تحول دون هذا (٣٠) ان تضحي بآمالها في السعادة الدنيوية لصالح خلاص جيروم .

ولا يجب ان يقع هذا بدون بذل أقصى جهد ، وهو بالنسبة لجيروم الفضيلة وبالنسبة لأليسا الحياة نفسها . وعبادة الحياة على الارض تلك العبادة العظيمة التي تصل في كتاب « المباهج الدنيوية » الى مرتبة حب ومعرفة الله هي

(٢٩) الباب الضيق ص ٩٩ .

(٣٠) هذه هي (الدربة) التي يقدمها الروائي اما الاسباب المسرحية

التي تقدمها أليس فتجدها ص ٢٢٤ .

شيء (طبيعي) عند اليسا . (٣١) .

« هذه الليلة ، من كل قلبي قد فكرت : شُكرا يا الهي
ان جعلت الليلة جميلة! وفجأة تمنيتك وشعرت بك ، قريبا
مني ، وبعنف يجب ان تشعر بي » (٣٢) .

واليسا لا تستطيع ان تكون حية بشكل كامل بدون
جيروم ، وهي تعرف هذا :

« انني لا اكون انا حقا بل واكثر من انني انا لا
معك ... » (٣٣)

لهذا فان عملية نكران الذات التي تعتزم ان تقوم بها
ليست مؤلمة فحسب : انها تدريجية وبدون ارتداد . ونكران
الذات عند جيروم لا يشكل بالنسبة لاليسا الا نكرانا للحياة
نفسها . ان وجودها نفسه يتوقف عليه انه (هو) حياتها .
ولكن طالما انه حب (بشري) هو الذي يهيمن على علاقتهما
فان تضحية اليسا لا تكتمل .

وتشرع اليسا في تضحيتها بروح التوهج او الافتتان
الشديد وهي تكتب كل نزعة لتقبل أية قيمة تكون مجرد
قيمة انسانية ، وهي تكتب كل نزعة لتقبل اي فرح يكون

(٣١) ص ١٦٠ .

(٣٢) الباب الضيق ص ١٥٧ .

(٣٣) الباب الضيق ص ١٦٥ .

فرحا من هذا العالم . ان كل ما هو جميل ويجري في اطار دنيوي - سواء كان اطار الجسم او العقل - يجري تشويبه عمدا وبشكل فج . وهي ترتدي ملابسها بشكل خليع وتختار تسريحة غير لائقة وهي تسيء استخدام يديها وتهمل البيانو الخاص بها . وهي تعيد التسجيلات الموسيقية التي ازلها اليها جيروم من ايطاليا . وهي تحل محل مكتبة الروائع الصغيرة التي ساعدها جيروم على جمعها كتيبات سوقية لا قيمة لها عن التقوى العامة ، واسوا ما في الموضوع انها تبحث عن الهبوط بأفكارها وافعالها وحديثها الى مستوى هذه الاعمال السوقية وان تتظاهر على الاقل انها قد نجحت .

ويناشدها جيروم المروع مناشدة اخيرة :

« اليسا !.. لماذا تركت جناحك ؟ »

ولكن لا عودة بالنسبة لاليسا تماما كما يكن الامر بالنسبة لميشيل :

« لقد غفمت : آه لا اسف على ما مضى . في اللحظة الراهنة انني اطوي صفحة من حياتي .

- ان امامك الزمن يا اليسا .

- كلا يا صديقي ليس امامي زمن . انه لم يعد هناك زمن للحب ، ولقد تداخلنا الواحد في الآخر من اجل الحب والله يقول يجب الا نحتفظ بما لقد به والله يحتفظ بهذه الاشياء للافضل .

— هل تؤمن بمثل هذه الاقوال دائما ؟

— يجب ان تؤمن بهذا تماما ...

— تخيل هذا يا جيروم : للافضل ! ... انني اكرر
هذا القول ثانية وانت تفرد ذراعيك وتغمض عينيك
« للافضل ! » (٣٦)

والنهاية محتمة — وقريبة : الفرار وحيدة الى
المستشفى الصغير في باريس حيث العزلة والموت .

وهذا الفرار وهذا الموت لا يشكلان انتصارا ، وتقدم
المذكرات التي تتركها اليسا وراءها برهانا ساطعا على ان
السكينة التي سعت اليها دون توقف قد انكرت عليها .
والحدث الاخير يقدم المقابل الماساوي لصيحة ميشيل : « لقد
تحطم شيء في ارادتي » . وذات صباح تجعلها نوبة قىء في
حالة شبه تحطم وشبه امل في الموت عندما تنتابها نوبة
كرب :

« ان هناك رعشة في الكرسي وفي النفس ، ان الامر
كما لو كان هناك (ايضاح) عنيف وخيبة امل لحياتي » (٣٧)
انها مهجورة شأنها في هذا شأن ميشيل ، والايمان الذي
حملها بعيدا لم يعد يحملها ابعد . لقد انتهى الباعث .

(٣٦) الباب الضيق ص ٢٠٧ .

(٣٧) الباب الضيق ص ٢٢٧ — ٢٢٨ .

« انني أريد أن أموت في هذه اللحظة بسرعة قبل أن
أبين من جديد أنني في وحدة » (٣٨) .

وواضح أنه في حالة اليسا كما في حالة ميشيل توجد
نقطة انهيار . ولكن كما يمكننا القول بأنه حتى هذه اللحظة
كانت القوة الدافعة وراء ميشيل هي دافع نحو الحياة .
يمكننا القول بأن القوة الدافعة وراء اليسا هو دافع هرب
من الحياة (نحو « شيء أفضل ») . غير أن الدافع نحو
الحياة يدفعه إلى اختيار الشر ، ودافع اليسا نحو نكران
الذات يدفعها إلى اختيار الموت .

فلو كانت مهمة هذين الكتابين حقا هي أن يقدموا
اختيارا خلقيا ففي أي إطار يمكن طرح هذا الاختيار ؟ لقد
اختار اللاأخلاقية ، غير أنه اختار الحياة ، واختارت اليسا
الفضيلة لكنها اختارت الموت ، وكلاهما فشلا . وعلى أية
حال ، فإن إمكانية الاختيار بين وجهتي النظر مستبعدة منذ
البداية ، فالقضايا المطروحة بالرغم من تعارضها تعارضا
شديدا متزامنة ولا تنقسم .

فهل نحن مواجهون إذن (بمأزق) ؟ هل يجب أن
تنضاف هزيمة اليسا الكبرى إلى انهيار ميشيل وبهذا تكون
لدينا محصلة من الفشل ؟ كلا . فالطبيعة الجدلية للمواجهة
بينهما وحالة الحوار الذي فيه وحده يكون لهما معنى إنما

يمنع الاختيار البسيط عن طريق الاستبعاد . وبالنسبة
لأولئك الذين يريدون أن يقوموا بمثل هذا الاختيار يعد هذا
مأزقا اليما . ولكن هذا بالضبط - بالعكس - هو ما يحاول
أن يتجنبه جيد ، ولهذا فإن التناول المنعكس في «اللااخلاقي»
و « الباب الضيق » ليس لهذا مما يجب نبذه على أساس
أنه لا يفضي الا الى (مأزق) .

فاذا استطعنا ان نفهم لماذا يبدو هذا التناول
- بالعكس - بالنسبة لجيد - محتما فاننا لن نرى فحسب
كيف تتجاوز النفس حدود الآن ، بل سنكون أيضا في وضع
مفضل لفهم طبيعة الالهام عند جيد ككل وأسس فنه جميعا .

لقد طرح هو نفسه المشكلة :

« انني أبدا لن اتخلي عنك ، ودفاعا عن نفسي للمرة
الالف بل وللأسوأ أشعر بخواء ومع هذا كيف يمكنني ان
أشرح هذه المساكنة في نفسي بين الاضداد المتطرفة مما
أفضى الى مضاعفة مرضية وزاد من حدة الشعور بالوجود
والحياة » (٣٩) .

وفي هذه الصيغة نجد ان السؤال يجيب على نفسه .
وتصبح « هذه الحالة من الحوار » (٤٠) ضرورية بالنسبة
لجيد لأنها أوجدت له بشكل لم يحدث من أي شيء آخر

(٣٩) صفحات لم تنشر ص ٢٧ .

(٤٠) المرجع المذكور .

« تكثيف الشعور - في اطار الوجدان - بالوجود ، بالحياة »
الذي هو الهدف الاقصى لكل بحثه . وهذا هو ما يصفه
في « المباهج الدنيوية » على انه حب الله ومعرفته ، وبهذا
المعنى يكون الله هدف كل مسمى .

وبعد خمسين عاما كان جيد لا يزال يتحدث في الاطر
هذه نفسها . ان سؤال ايكاروس البلاغي في « تيسوس » :
« الى اين تتجه ان لم تتجه الى الله ؟ » (٤١) .

انما يتردد على مسافة نصف قرن في تعريف مينالك :
« الله هو هذا الذي امامنا » (٤٢) .

ولكن - كما رأينا - لا يوجد درب مباشر الى الله من
خلال اي من مخلوقاته (هو) .

وتوضح رواية « المباهج الدنيوية » انه اذا « كان
كل مخلوق يشير الى الله فانه ما من احدا يكشف عنه » .
ويشير ديدالوسن الى النقطة نفسها :

« انا لا اعرف من اين بدأ الله ، ومرة اخرى لا اعرف
اين ينتهي . وبالمثل انني انعصر وسط افكاري اذا قلت انه
لا ينتهي أبدا منذ البداية » (٤٣) .

(٤١) تيسوس ص ٦٢ (وقد ترجمها طه حسين - المترجم) .

(٤٢) المباهج الدنيوية ص ٦٢ .

(٤٣) تيسوس ص ٦٤ .

ودون أي مقاومة يتذكر الانسان التعريف المدرسي
الشهير لله وبمقتضاه يكون (الله) دائرة مركزها في كل
مكان ومحيطها ليس في أي مكان لان الوضع عند جيد على
عكس هذا تماما : الله دائرة محيطها في كل مكان ومركزها
ليس في أي مكان ، ونحن نواجه الله في كل التفاتة . وكل
تجربة انما تحملنا وتدخلنا في محيط الله ، غير اننا لا نستطيع
ان نشق طريقنا في الداخل من المحيط . (٤٤)

وتظل هناك امكانية يمكن التعبير عنها بصورة يبدو أن
جيد في نقاط كثيرة من عمله يحاول أن يجلوها . فاذا كانت
هناك نقطتان متعارضتان تماما على محيط دائرة واتصلا
من طريق خط مشدود ، فان (الخط سوف يمر بالمركز) .
ويعبر ديدالوس عن الفكرة نفسها عندما يقول :

« هناك بالضبط حيث مفترق الطرق حيث القلب
نفسه على هذا الصليب تعتزم روعي أن توجد » (٤٥) .

لقد رأينا أن القضايا في الجدل عند جيد متعارضة
تعارضاً تاماً . ونحن نعرف أنه لا يمكن الفصل بينها . ولقد
رأينا أيضاً أن أي انفعال (مستبعد) يتضمن – بالتعريف –
رفضاً لله ويشكل – بقدر ما هو مستبعد – حركة تبعد
عن الله . وهذا هو السبب الذي يدعو الى استعادة

(٤٤) انظر الفصل الثاني .

(٤٥) تيسوس ص ٦٢ .

التوازن (٤٦) فتولد دافعا في الاتجاه المتعارض تماما . اذن فان هذه الدوافع تتولد في اتجاهات متعارضة تماما بعيدا عن المركز والوتر المرسوم . هذا التوتر هو نتاج فوري للتوهج ، وهذه الحقيقة تسير في اتجاه تفسير الطبيعة ودور الفنائية في الكتابين وفي الحقيقة خلال عمل جيد كله .

في قلب الرواية - كما يقصد جيد - توجد نظرية مقررة بجلاء : « الرواية هي نظرية » (٤٧) : لكنها نظرية لا يمكن اعلانها الا في لغة الفن الذي لا تتميز عنه . وهذا الزواج بين التصميم الواضح والوفرة الفنائية هو جوهر فن جيد . ولكن بينما يبدو ان في ذهن اندريه والتر غنائية تلقائية ساذجة ، فانه لا توجد غنائية ضبابية مثل الفنائية الموجودة في « اللااخلاقي » و « الباب الضيق » .

ان هذه الفنائية مرسومة لكي تفري ان لم يكن لتفوي . وهذه هي المقصودة لكي تحدث تأثيرا تمارسه على الاصدقاء الذين يحكي لهم ميشيل قصته :

« لا تعرف أين يكمن النقد ، في الشر الفصل الذي يعطيه ، ونحن لهذا نكون شركاء فيه . ونصبح كما لو كنا منخرطين » (٤٨) .

(٤٦) في خطاب كتبه كلوديل الى جيد وصفه بانه «مقل بدون حامل» وما من ثناء ارضى جيد خير من هذا الثناء .

(٤٧) مذكرات اندريه والتر ص ٤٥ .

(٤٨) اللا اخلاقي ص ١٦٦ .

غير أن جيد نفسه ليس بأي حال من الأحوال ضحية
فصاحته ، فالدافع الذي يلهم ميشيل في رسالته قوي في
خالقه ، لكنه لا يعميه كما يعمي ميشيل .

ولقد شرح جيد المسألة لناقد كتب مقالة عن رواية
« اللااخلاقي » : هناك بطبيعة الحال جرثومة من ميشيل
في إخالقه .

« ولكن يوجد عدد من الانفعالات المتعارضة كما يقول
باسكال تكون الآن في حالة توازن لان الانسان لا يستطيع ان
يقرر احداها دون الاخرى ... ولكن الانسان بالارادة
يستطيع ان يلفيها جميعا من (اجل احداها) ... لكي
يمجدها ! » (٤٩)

هذا الشرح صادق ايضا بالنسبة لرواية « الباب
الضيق » مرة أخرى لا يمكن انكار القوة في جيد بالنسبة
لدافع نحو انكار الذات ، على الاقل نحو « شيء افضل » من
الحياة . غير أن مؤلف « المباهج الدنيوية » و « المستنقعات »
و « بروميثيوس مقيدا » و « الملك كندول » و « اللااخلاقي »
غير قانع بحدود قوى اليسا في شعورها وفهمها .

ان الكاتب الاستاذ البالغ من العمر اربعين عاما
يضيق صبره :

« ان (الباب الضيق) تثير الشخص من صفتين

(٤٩) خطاب الى شافر ص ٦١٦ .

الى ثلاثة « (٥٠) .

ان بطولة اليسا « لا فائدة منها بشكل مطلق » (٥١) ، وفي مسودة لتصدير للكتاب كان عبارة عن مشروع فان الايحاء بان رواية « الباب الضيق » تشكل عودة الى روح كتاب « مذكرات أندريه والتر » مسألة مستهجنة باعتبارها اساءة فهم تامة ، بينما علاقتها الجدلية برواية « اللااخلاقي » يجري الاصرار عليها بأوضح تعبير . (٥٢)

لهذا يوجد اختباران بالنسبة للدافع الاصلي في اي من الكتابين . فلا يمكن النظر الى الدافع فحسب مع ضده ، بل يجري اختباره بالنسبة لتقويضه . عند نقطة معينة لا يعود البطل في اعمال جيد - أندريه والتر ، ميشيل ، اليسا - يستمتع بثقة المؤلف . ان المستمعين لميشيل - وقراء جيد - يتولاهم العجب : عند اية نقطة ؟ ان آرماند في كتاب « مزيفو النقود » يواجه صعوبة مماثلة . يقول : لو كان كاتباً لكان بحث في كل الاشياء عن النقطة الحرجة التي تفصل الوجود عن العدم . وهو يأتي بمثال عن حالة ستة من المسافرين نجوا بعد غرق السفينة . وعندما تم التقاطهم مات ثلاثة وامكن انقاذ اثنين ، أما السادس فكان في حالة انهيار . وكان لا يزال هناك أمل : « ان كيانه

(٥٠) خطاب الى ١ . ١ . ر . ص ٦١٦ .

(٥١) مذكرات بلا تاريخ ص ٤٠ .

(٥٢) انظر ص ٢٥٩ وما بعدها .

يستطيع ان يتحمل النقطة الحدية « (٥٣) . ويوقف آرماند عند حده الطرف الآخر الذي يجري معه الحوار قائلا انه يفهم . بعد ساعة يستطيعون اتقاذه ، فيحتج آرماند ويدلي بالنقطة الاساسية التي عنده :

« ساعة كما ترى ! انني اعد اللحظة المتطرفة » الانسان يقدر عليها ثانية . قد لا يستطيع الانسان ان يقدر عليها ... هذا الخط الفاصل بين الوجود والعدم ... انني اطبقه على كل شيء يعرضه امامي . انني اعتبره حد المقاومة ... هل تفهم الآن ؟ » (٥٤) .

« الوتر ينقطع » . فيما وراء النقطة الاخيرة التي يمكن التمسك عندها بالتوهج ، عندما يدرك ميشيل ان شيئا في ارادته قد انهار او عندما تعيش اليسا ساعة صدقها فان التوتر الذي يبرز الكثافة او الشدة - في اطار الشعور - الخاصة بالاحساس بالوجود ، الاحساس بالحياة الذي يفيض من الاتصال بالله وهذا ما يضيع ويفقد .

ولكن اذا كان الامر هكذا ، فباي طريقة يحل الجدل عند جيد مشكلة الحفاظ على النفس وراء حدود الآن ، حيث ان هذه المواجهة هي نفسها يجب اعتبارها على انها آنية وقتية ؟

(٥٣) مريغو النقود ص ٤٠٩ .

(٥٤) مريغو النقود ٤١٠ .

ان صورتنا تزودنا بجواب : لما كان محيط الله في كل مكان ، ولما كانت لا توجد نهاية لبداية الله ، ولما كان كل مخلوق يشير الى الله ، فان (اي) تجربة تكفي لاطلاق حركة العملية الجدلية . ان اية عاطفة تستدعي التناقض الذي هو كمالها ، والالتزام المتزامن بكلا العاطفتين سيمد الوتر خلال مركز الدائرة . ولا يهم من أين يمتد الخط من المحيط : « فالمركز يظل متوحدا ومتطابقا مع نفسه وهو يتجدد دوما في هذه الشدة او الكثافة ... الخاصة بالاحساس بالحياة » التي بدونها لا يمكن أن تنهض حقا ولكنها فيها تتجدد مع الله .

الفصل الخامس

كهوف الفاتيكان

في الوقت الذي كان جيد يكتب « اللا اخلاقي » و « الباب الضيق » كان يخطط لنوع من « البحث » يعتقد ميشيل أنه مكرس له . ومع هذا ، فبالرغم من أن الفضيحة كان من الصعب تجنبها ، فان أصدقاء قد أغروه ان يساير الظروف .

حسب رأي لويس مارتن - شوفيه ، ترجع كتابة « ايزابيل » (١٩١١) وهي قصة رومانسية مختلقة قامت على أساس حقيقة واسطورة محليتين ، ترجع كتابتها بشكل مباشر الى تأثير قراءة جيد على مجموعة صغيرة من أصدقائه الحميمين الجزء الاول من « كوريدون » ، فحتى يحولوه عن عزمه في كتابة ونشر مثل هذا العمل اقترحوا عليه ان يؤلف كتابا له طابع مختلف تماما . وجيد لا يمكن ان يكتب بشكل سيء ، لكنه بالتالي اعتبر « ايزابيل » « غلطة » ومعظم المعجبين به راغبون في الاتفاق حول هذا الحكم .

ومثال صارخ على نوع البحث الذي كان في ذهن جيد

عندما كتب « ايزابيل » نجده في « ذكريات عن محكمة البلاط » (١٩١٤) وهذا الكتاب سرد واقعي لتجاربه كرجل قانون مع تأملات في القضايا التي اشترك فيها . لكن العلامة البارزة التالية في تقدم جيد كفنجان نجدها في نشره عام ١٩١٤ لكتابه « كهوف الفاتيكان » . والدافع المباشر وراء كتابة هذا الكتاب هو نفاد الصبر الذي كان يشعر به جيد بشكل متزايد بالنسبة لنغمة وطابع رواية « الباب الضيق » .

« انني حينئذ املك قدرا كافيا من النغمات الاصيلية والتدرجات المرهفة !... ان كل قاموس الحب لا يكفي للتعبير عن خمس سنوات ! » (١) .

لقد بدا يحن الى طابع أكثر رشاقة وخفة وانطلاقا ونغمة مفككة أكثر ، يحن الى أناقة تكون طبيعية تماما «... كما لو كانت سلامة طوية ثانية » (٢) .

ان التقابل بين النزعة الطبيعية وسلامة الطوية أو الاخلاص في المجال الفني له بطبيعة الحال تضمينات وايحاءات خارج عالم الجمال . ان الاعمال التي تؤديها لانها متوقعة منا أو لاننا نتوقعها من أنفسنا أو لانها تبدو النتائج المحتملة لماضينا أو الاستطالة المترتبة لحاضرنا ، هذه الاعمال في رأي جيد ليست أعمالا « طبيعية » ، فهي استجابات لضغوط

(١) خطاب الى ا. ر. ص ٤١٩ .

(٢) كهوف الفاتيكان ص ٢٠١ .

تفرض بالقوة من خارج النفس ، وهي أعمال غير مخصصة
لانه لما كانت مستثارة فهي تبدو محتمة بينما لو كانت معتمدة
على النفس فقط قانها ما كانت تحتاج الى ان توجد على
الاطلاق وقد يحل محلها عدد لانها من البدائل التي لا يمكن
التنبؤ بها .

ان اعمالنا وافعالنا تميل الى ان تنتجها الظروف لا
النفس ، وهي الظروف التي توجد فيها النفس والتي تشعر
بها انها (مقيدة) . والفعل المخلص الحق ينبع مباشرة من
النفس وهو متحرر من مثل هذه الاعتبارات التي تحد وتوجه
والتي قد تحرقها أو تشوهها . وان فكرة مثل هذا الفصل
فكرة مفرية : « هل تفهم ما في هذه الكلمات : تجاوز
الآخر ؟ » (٣)

ان جيد يسمى في اطار الهزل الساخر لا الفارس الهزلي
الى ان يعرض في « كهوف الفاتيكان » نوع العمل الذي كان
في ذهنه والذي اطلق عليه بثوع من الاندفاع تعبير « الفعل
المجاني »

لقد سبق ان جذب الموضوع انتباهه في « بروميثيوس
مقيدا » ، الا ان كتاب « كهوف الفاتيكان » تنقل المناقشة
إلى خطوة أبعد . (٤)

(٣) ص ١٦٢ .

(٤) عالج هذا السؤال مينيه في « اندريه جيد » ص ١٢٢ . وما بعدها .

في « بروميثيوس مقيدا » يشرح نادل المقهى خلال حديثه مع بروميثيوس أنه يحب أن يجمع بين الناس بشكل قائم على الصدفة بدون داع محدد في العقل ، وأنه يبحث عن تقديم سلوكه بشكل « مجاني » .

ان الامر بشق النفس . ان الباعث هنا واضح تماما : ان النادل فضولي . ان نتيجة الجمع على مائدة ثلاثة غرباء لم يكذ يتم تقديمهم ليست مما يمكن التنبؤ به في كل تفصيلة (هل في هذا فعل او عمل ؟) : لكن من الواضح ان هذا يرضي فضول النادل ، وهذا يقوض زعم الفعل بأنه مجاني حتى ان المرء ليندهش ان كان هذا الزعم حقا كذلك .

فاذا لم يكن الفعل مجانيا ، فبأي طريقة يكون ذا أهمية خاصة ؟ انه مهم بالنسبة لجيد بمعنى ان النادل ليس منخرطا في العلاقة التي يخلقها وانسلاخه عن الحدث يمثل بالنسبة لجيد دور الروائي كما يتصوره ، بالرغم من أن التصور من الناحية العملية يتحقق أحيانا بشكل غير كامل .

غير أن السبب الحقيقي لعرض فكرة الفعل المجاني هو بدون شك الحماسة التي يشعر بها جيد بالنسبة للمفهوم (كمفهوم) . ومن الحق انه يجد المسألة صعبة للشرح أو حتى للاستيعاب ، لكنه يتها لها في حالة من الافتتان :

« الفعل المجاني ! هل بالنسبة لك لا يبدو شيئا ؟ لكنه بالنسبة لي يبدو رائعا . انني منذ زمن طويل اعتقد انه هو

الذي يميز الانسان عن الحيوان : انه الفعل المجاني . انني اعتبر الانسان ، الحيوان القادر على الفعل المجاني . ثم بعد هذا انا افكر في العكس : في ذلك الوجود الوحيد العاجز عن اثاره المجانية . المجانية ! احله اذن : بدون عقل - اجل ، اقول لكم - صفوا الامر هكذا : بدون باعث ، بدون قدرة ، كما لو كان قد انطلق من تلقاء نفسه ! » (٥)

ان الحماسة هنا لا يمكن ان نخطيء في تبينها : لكن تفكك حديث النادل يبدو انه يعكس باخلاص التشوش الذي في ذهن خالقه ، لان القصة التي يسمى بها لتصوير وجهة نظر (والتي قامت عليها حكاية « بروميثيوس مقيدا ») غير حاسمة تماما .

ان الاله زيوس متنكرا على هيئة مليونير يهبط الى باريس وهو يحمل معه مظروفا يحتوي خمسمائة فرنك . وهو يسقط منديله وعندما يلتقطه احدهم يطلب منه ان يكتب له عنوانا - (اي) عنوان - على الظرف . ثم يصفع الغريب على وجهه ثم يبعث بالظرف على العنوان الذي يحمله .

وهذا الفعل لا يتفق في الواقع مع الوصف المتحمس الذي يدلي به النادل :

« ... كلا ، ولكن مجانيا ، انه فعل لم يبتعه شيء . هل تفهم ؟ ابتعاث ، انفعال ، شيء . الفعل المنزه عن الفرض ،

(٥) بروميثيوس مقيدا ص ١٠٥ .

ليس من النفس ، الدافع الذي بدون غرض ، ومن ثم بدون محرك ، الفعل الحر ، الفعل التلقائي ؟ » (٦)

نحن نجد الدافع في القصة واضحا كما هو الحادث في فعل النادل ، وهدفه هو هو نفسه في كلا الحالتين . ومن الواضح انه جرى تعليبه في الذهن . زيادة على ذلك فان اهميته السيكولوجية لا تزال بعيدة عن الكمال نظرا لانه هوى رب من ارباب الاوليمب لا هوى انسان .

ومع هذا اذا فشل جيد في اقناع القارئ ، فانه في « بروميثيوس مقيدا » التي وصفها واعتبرها مثالا على الفعل المجاني ، قد اقنع نفسه بأهمية وقيمة دراسة فعل من هذا النوع .

والتأمل في « اللا اخلاقي » و « الباب الضيق » لا يمكن الا ان يعزز هذا الاقتناع . وفي هذا السياق نجد أن اكبر عنصر دال في وصف النادل للفعل المجاني يكمن في عبارة : « فعل بدون هدف ، (ومن ثم بدون سيطرة عليه) » . ان افعال ميشيل واليسا تابعة لهدف من الاهداف ، وابطال الروايات أسيرو « مشروع » ما بالمعنى الحرفي لكلمة أسير . ولا تتناثر كلمات جيروم في بداية القصة عرضا . انها كلمات حيوية : « انني اضع كل قوتي في معيشتي واستفعل

(٦) المصدر السابق .

فضيلتي « (٧) . ولكي تتمكن النفس من أن تواجه عملية الاستنفاد هذه فإنها تحررها بالضرورة من هذه القيود ، ولهذا لا يجب تنفيذ أفعالها لصالح مشروع ما : الفعل المجاني وحده ين يقيم العقبات في وجه امتلاء النفس . والاشتياق الى الفعل المجاني هو نتاج وعي بالوفرة والثراء داخل النفس .

وجيد بحثا عن تعريف الفعل المجاني في « كهوف الفاتيكان » يبدأ من هذه الفكرة :

« بدون (هوى) ، أنا مصنع : مجاني . وهو مثل الشر هو ما يسميه الانسان : الشر ربما يكون مجانيا هكذا .

— ولكن في مثل هذه الحالة لماذا الفعل ؟

— تماما ! من قبيل الترف ، من قبيل الحاجة الى اللهو واللعب « (٨) .

ولكن هذه بواعث ، والفعل المجاني وقد جرى تصويره بصرامة ، هو استحالة سيكولوجية . وقد اضطر جيد الى الاعتراف بهذا في موضع آخر . ويوجه هيتيه الانظار الى مجموعة « لا تحكموا » حيث يقول : « ان كل فعل يبدو انسانيا وكأنه بدون دافع ، ما من فعل مجاني الا وهو كذلك في الظاهر » (٩) .

(٧) الباب الضيق ص ٧٥ .

(٨) كهوف الفاتيكان ص ٢١٧ .

(٩) هيتيه ص ١٢٤ .

غير أن جيد كان مقيضا له أن يتخلى عن الفكرة تماما .
وهو يصف سلوك كيريلوف أحد أبطال رواية دوستويفسكي
« الشياطين » على أنه « مجاني تماما » : لكنه يقيم هذا
بقوله أنه يعني بكلمة « مجاني » « أن دافعه ليس دافعا
خارجيا برانيا » . ومن الواضح أنه يستخدم كلمة « مجاني »
بمعنى قريب بالنسبة له ، فهو يقرر بشكل نهائي أن « هذا
السلوك (عند كيريلوف) من أجل أن يكون مجانيا ، لا يعني
الا يكون بلا دافع » (١٠) .

وهذا هو المعنى الذي سيستخدم به تعبير « فعل مجاني »
بشكل واع في « كهوف الفاتيكان » باعتباره متميزا عن الفعل
الا ارادي في « بروميشيوس مقيدا » .

أن الفعل الحاسم لن تدفع اليه ظروف خارجية ، ونمط
التفكير الذي يحدد أو يعين الفعل بشكل طبيعي لا يستثار الا
لكي يستبعد . وبالرغم من أنه ورد على لسان شخصية في
الرواية ، فإن من السهل أن تبين اطروحة مماثلة عند جيد .

هنا مرة أخرى لا تعود مشكلة التحرر مسألة ذات
أهمية . ولكن مرة أخرى : « أن تعرف كيف تحرر نفسك
ليس شيئا ، الصعوبة قائمة في كيف تكون حرا » .

ولو كانت أفعالنا لا تدفع اليها الظروف ، فكيف يمكن
أن تندفع أصلا ؟ ونحن نجد أن الروائي في « كهوف الفاتيكان »

(١٠) المرجع المذكور ص ١٢٤ - ١٢٥ .

هو الذي يقترح نقطة بداية في محاولة لتجنب الجواب . والمتحاور معه يقترح عليه أنه ليس من الصعب أن تجد دوافع للجريمة فيرد بأنه لا (يريد) أن يقدم أي دافع للجريمة ، فان ما يريده هو دفع المجرم وتحريكه . « أجل ، انني اتخذ موقف المرتكب للجريمة مجانيا ، وأرغب في ارتكاب الجريمة دون دافع » . (١١) هذا المشروع يتصوره مؤلفه في حالة عقلية مشابهة لتلك الحالة التي وصل اليها « السيد ديفوكوبليز » تحت تأثير الخمر والسكر ، وهي تنهض على مجادلات مماثلة تسمح بالاختلاف الهام من أن الجدل هنا يتم في اطار الادب :

« . . . المنطق ، النتيجة ، التي اقتضيها لشخصياتي ، من أجل أن أؤكد انني اقتضيها لذاتها ، وهذا لا يكون طبيعيا . ونحن نكون على تقيضه تماما للصورة التي رسمناها في البداية . . . ولاول وهلة أرى أمامي المجال حرا . . . هل تفهم ما تقدر أن تقوله الكلمات : المجال الحر ؟ . . . منذ الآن لا أعود أفهم شيئا من هذه الكلمات ، انني أفهم كل انسان مخلص ، انني اقتضي مالا يحمل شيئا ، ومن ثم أعرض أكثر الامكانيات غرابة من تلقاء ذاتها . ومن ثم ليس الامر ما هو اقائم على الصفحة ، انني اتجاسر واعطيها سيورتها . ونحن نصبح على ما يرام ! » (١٢) .

اذن فان الافعال المجانية سيؤديها الانسان المخلص ،

(١١) كهوف الفايكان ٣٥٠ .

(١٢) كهوف الفايكان ص ٢٩٨ - ٢٤٩ .

الإنسان الذي لا ينظر إلا إلى نفسه ، الإنسان الذي تحلل من روابط الأسرة والمجتمع والرسالة في الحياة والسمعة . الإنسان الذي ليس لديه ما يكسبه ليس لديه ما يفقدته ، فهل يمكن تصور مثل هذا الإنسان ؟ ربما ... على الورق .

ان « لافكاديو » ابن حرام ومن ثم يستبعد من الروابط الأسرية . لقد ولد من دبلوماسي فرنسي وعشيقة رومانية وتربى في بلدان عديدة على يد سلسلة كاملة من « الأعمام والأخوال » من قوميات مختلفة ، وهو لا تربطه أية روابط بأي بلد . وان أناقته الطبيعية ومكاسبه الساحقة تجعله مقربا في الطبقات الدنيا للمجتمع ، وتقص الوشائج وتاريخه بصفة عامة يجعلانه مقربا في الطبقات العليا : انه بلا طبقة ينتمي إليها . وهو بدون مهنة ، غير ان هناك أسطورة تؤكد انه ليس بحاجة لكي يكسب معاشه . وهو بلا دين ولا قوانين خلقية تقليدية . ويجري تصوير طبيعة جنسيته بعناية بشكل خاص على انها ملتبسة .

انه يتنقل كيفما اتفق بشكل او بآخر بين روما وبرنديزي وهو يجد نفسه جالسا في العربية نفسها كصاحب متجر في منتصف العمر متواضع مريض سخي نوعا ما وبينه وبين لافكاديو لا توجد أية علاقة تلزم أيًا منهما .

ويرى لافكاديو في الموقف الفرصة لارتكاب جريمة

لا دافع لها : وهو يستخدم هذه الكلمات عيناها . وليست هذه هي المرة الاولى التي لف فيها خياله حول هذه الفكرة . فذات مرة تخيل نفسه يفتال سيدة عجوزا (اخطا وحمل صرتها عمدا) وفي تلك المناسبة وجد نفسه يتأمل في ضالة الحياة الانسانية وفي استعداده الذي يخاطر به بحياته اذا ما عرضت له اية نامة جديرة بالاعتبار . ولكن من العبث ان نلتزم في (الخيال) بمثل هذا الفعل ، لان الانسان لا يستطيع ان يتكهن بما لا يمكن التنبؤ به ، وان مالا يمكن التنبؤ به هو الذي يحدث في الواقع . » ان الانسان يتخيل (ما سيحدث) ومع هذا يقبع ساكنا دائما . وما من شيء يحدث ابدا الا وكما يعتقد ... انه ما يستثار ... والانسان لا يفعل الا القليل ! « ماذا يعرف ! » كما لو اكنت سافسر (الخلق) ... محبة ذلك الذي يقدر على الوجود ... واذا كنت الدولة فاني انهي الامر » . (١٣)

هنا يشير لافكاديو الى دافع : « هذا هو ما يدفعني الى الفعل » . الخيال شيء رائع ، غير ان الخيال بطبيعته نفسها (يتكهن) ، وما يبحث عنه لافكاديو هو ما لا يمكن التنبؤ به بالضبط . ولما كان خياله يلهو بجريمة فليريزوار فانه يصبح اكثر اتضاحا ان ما يفتن لافكاديو فوق كل شيء هو ما لا يمكن التنبؤ به (في داخله) .

« كم هو بعيد ذلك الذي بين الخيال والفعل ! ... »

وهنا كم تكمن الاخفاقات « (١٤) .

ويمكن ابراز الاطروحة بصفة عامة . فعندما يتكهن المرء بان الانسان سوف يفعل او سوف لا يفعل شيئا فعلى اي اساس ينهض هذا التكهن ؟ انه ينهض على تصور لطبيعة الانسان موضع الكلام وعلى افتراض ان افعاله ستحدد بالضرورة بظروف سيتصرف ازاءها بطريقة يمكن التنبؤ بها . واذعان جيد قائم في ان مثل هذا التكهن لا يمكن التعويل عليه ، لان مثل هذا التكهن ينكر على الانسان الحركة الذاتية التي هي الاساس الوطيد لوجوده .

ولا يكفي تصور وجود هذه الحركة الذاتية ، وأصالة هذه الحركة عند جيد لا يمكن ان تنهض الا بتجليتها ومن ثم يرتكب لافكاديو الجريمة :

وفي النقاش الذي دار حول « كهوف الفاتيكان » هناك قدر كبير قيل عن فشل جيد في تقديم مثال عن فعل مجاني أصيل . بل ان « هيتيه » يعترض على فشله في تقديم شخصية مقنعة سيكولوجيا في لافكاديو . ولكن لا يمكن انكار اهمية الكتاب لا لشيء سوى للآثر الذي تركه في جيل كامل من القراء .

وبطبيعة الحال ، هذا الكتاب هو قطعة أدبية متوهجة

(٤١) كهوف الفاتيكان ص ٢٢٧ .

عن رواية المفامرات . أن الكتاب عبارة عن (ملهاة) فكهة
بشكل كبير عن الكنيسة الكاثوليكية والماسونية . وتموج
الكتابة بشكل ابتعادا كبيرا عن تراث القرن التاسع عشر؛
غير أن تأثير الكتاب لا يرجع الى مثل هذه الاعتبارات ولا
شيء في براعتها السطحية يرقى الى قوتها .

طوال الكتاب ، خلال صفحات الهزل ذي النكهة
الواضحة ، والميتافيزيقا التجريبية تتردد (صرخة القلب)
الكبيرة :

« انا متعارضون ... »

اني اتبع ظلي ...

حتى انني ربما أعرفه ! »

هذه هي الاطروحات الكبرى في رواية « كهوف
الفاتيكان » ، ولا يقلل من قوتها وفعاليتها التحفظ الذي
تعرض به ، فالتحفظ نفسه الذي يعرض مثل هذه
الموضوعات في اطار السخرية والهزل يوحي بأن هذه
الموضوعات تشكل في المقام الاخير جدلا حيا ويزداد هذا قوة
كلما حاولت أن تتخفى .

« ان حياتنا يجري تقليدها بشكل ساخر » وربما
يحدث هذا اساسا بسبب « مجموعة صغيرة من أصدقائنا
وعلاقاتنا ... لا نستطيع أن نسمح لانفسنا أن نهاجمهم » .

ولقد ظلت حياة جيد تقليدا ساخرا عدة سنوات . لقد قام
بقمع الحقيقة عن نفسه على حساب الغضب من أجل خاطر
أصدقائه ، وخاصة من أجل خاطر زوجته .

يقول في قاموس (أبستل) عن «كهوف الفاتيكان» :
« انني أبدو كما لو انني لا أبدو الآن ! لا انني اكتب كتباً
مليئة (بالسخرية) (او عن النقد ان شئت) . ولكن هذا
آخرها . فاذا كان من أجل القلة ، ان كان من أجل
نفسه فقط ، فان الوقت قد حان لتناول اوضح . لقد
حان الآوان ان نتناول « كوريدون » .

الفصل السادس

كوريدون

إذا كان جيد كان مستعدا لنشر « كوريدون » في
التو بعد نشر « كهوف الفاتيكان » فان نشوب الحرب
العالمية الاولى استبعد الفكرة من ذهنه دون شك . لقد
انغمس جيد قلبا وقالبا في عمل منظمة اللاجئين المتخصصة
أساسا في مهمة العناية باللاجئين البلجيكيين الذين تدفقوا
على فرنسا . ولقد كان هذا العمل شاقا للغاية وخاصة
بالنسبة للأعصاب والانفعالات ، غير أن جيد لم يأل جهدا
في عمله ، وفي النهاية هزمه القلق الشديد . وفي ابان هذه
الفترة عاش الازمة الدينية التي ألهمت رواية «لماذا نمكويده
وأنت ؟ » (١٩٢٢) التي بدا لأصدقائه فيها أنه يعود الى
عقائده المسيحية إن لم يكن - في الحقيقة - واقفا على
شفا الكاثوليكية الرومانية . وفي الواقع - حتى في هذا
العمل الأخير - كان وضعه اقرب بكثير الى النزعة الانجليكية
الصوفية عند دوستويفسكي ، وفي محاضرات جيد ومقالاته
- التي جمعت ونشرت عام ١٩٢٣ - يكاد يستحيل التمييز

بين دوستوفسكي وجيد الذي يعلق عليه .

في عام ١٩١٩ نشر جيد « السيمفونية الرعوية » .
وهذه الرائعة الصغيرة نالت النجاح الذي تستحقه : غير
ان جيد نفسه رأى فيها - بحق - مفارقة تاريخية ، ارتداد
الى فترة سابقة لرواية « كهوف الفاتيكان » . على أية حال
وضع جيد في عام ١٩٢٤ نهاية لكل مسامرة للتيار . وبالرغم
من محاولات أصدقائه العديدة لثنيه عن عزمه أجاز طبعة
تجارية لنشر « كوريدون » وكان جزء من « كوريدون » قد
طبع طبعة خاصة - في اثني عشرة نسخة - في أوائل عام
١٩١١ ثم طبعة ثانية خاصة لحفنة من الأصدقاء - في إحدى
وعشرين نسخة - عام ١٩٢٠ وأخيرا نشرت دار جاليمار
الكتاب في طبعة تجارية .

ونشر هذا الكتاب يعد عملا من أعمال الشجاعة ،
فليس كتاب « كوريدون » اعتذارا روحيا عن الجنسية
المثلية فحسب ، فهو أيضا اعتراف صريح وعام (بعبادات)
جيد الجنسية الخاصة . ولقد أثرت هذه الأطروحات في
الجمهور حتى أن القراء فشلوا - بصفة عامة - أن يستخلصوا
أي شيء عدا هذا من الكتاب . ولكن في « كوريدون » شيء
أكبر من هذه المعضلة بشكل ضيق . فإذا كانت « كوريدون »
اعتذارا عن الجنسية المثلية فهي أيضا اعتراف بإيمان ما
من جانب فنان كبير ، وهي عمل كبير من أعمال الفن . ولقد

اعتبر جيد حتى آخر أيامه بأن « كوريدون » أهم أعماله (١) ،
والكتاب لا يعرض كدعاية مباشرة بل كسلسلة من الحوار
بين شخصيتين خياليتين في إطار خيالي . ان الاطار
والشخصيات يجري التخطيط لها بخفة والشكل الفني ليمتد
تحت الثقل المطلوب منه ان يتحملة : غير ان شعورا حقيقيا
بالدراما مع هذا يتم ابتعائه . هذا هو عمل فنان ، واعتراف
الراوي انه اتخذ « احتياطات بلاغية معينة » رغم انه يشير
في المقام الاول لاستخدامه البارع للاقتباس ، له تطبيق
أكثر عمومية وتصريح معقول بالتعبير عن الفكرة بشكل اكبر
او اقل منها .

ان معظم الكتاب مخصص للإجابة على اتهامين أساسيين
موجهين ضد الجنسية المثلية : انها ضد الطبيعة وانها
مضرة بالمجتمع . ويرد جيد على كل من هذين الاتهامين على
أساس من التدليل العلمي او التاريخي . منه استمد ما يمكن
ان يسمى القضية العلمية او الموضوعية للدفاع . لكن في
القضية يشير جوابه مجادلات هي مجادلات جديدة بصفة
خاصة : وفي هذه المجادلات يكمن الاهتمام الاول بكتاب
« كوريدون » .

يبدأ جيد فيورد كيانا مؤثرا من التدليل العلمي لاثبات
ان الممارسات الجنسية المثلية شائعة في المملكة الحيوانية
بأسرها . وهذه حقيقة موضوعية لكنها عند جيد مناسبة

(١) المذكرات ص ٢٨٧ .

رائعة لشن هجوم شنيع على التصور المحدود « للطبيعة »
التي يقتصر المجتمع المعاصر عليها . وحتى يشن هذا الهجوم
يطلب عونا من حليفين قويين للغاية : مونتني - الذي يمكن
أن نفترض أنه من صفه - والشخص الآخر لدهشتنا ولتأثيره
علينا هو باسكال .

باسكال أولا :

« انني اقدر أن هذه الطبيعة ليست في ذاتها عادة
أولية بقدر ما أن العادة هي طبيعة ثانية » (٢) .

ثم مونتني :

« أن قوانين الضمير التي تزودنا بها الطبيعة ساعة
مولدنا تتولد من العادة » (٣) .

أن المتحاور مع كوريدون يعترض على استخدام نص
منتقى عفو الخاطر من باسكال لا لشيء إلا ليزود كوريدون
بتعللة لاقتباس آخر من المصدر نفسه :

« أن طبيعة الانسان هي طبيعة شاملة ، (طبيعة
حيوانية) وليس هناك شيء لا يمكن رده الى الطبيعة .

وليس هناك شك في أن الطبيعة ليست هي العادة .

(٢) ص ٢١٠ - ٢١١ .

(٣) ص ٢١١ .

والعادة هي التي تعمل عملها نظرا لانها تقيد الطبيعة ،
وأحيانا ما تتغلب الطبيعة وتحصر الإنسان في غريزته بالرغم
من كل عادة سواء للافضل او للاسوأ « (٤) .

وعندما يقترح محاور كوريدون أن الجنسية المثلية
مشروطة (بوسط) خاص ، فانه يرد الهجوم ببراعة ويجد ،
ببراعة لا يمكن أن تمر دون انتباه لدى مؤلف مختلف عن
باسكال ، يجد النص الكامل الذي يعزز موقفه :

« احلم في مجتمعنا ، في آدابنا بإمكانية قيام جنس بين
المتماثلين ، لقد لقن الجميع الجنس مع الآخر المفابر ، أنه
شيء مخترق ، مستشار شأن المسرح والكتاب والصحيفة
وأفشيات الحائط واحتفالات الصالونات والشوارع (اذا لم
تستطع أن تحب كل هذا فانك تكون سيئا) هكذا كتب
دوماس الابن في تصديره لروايته (مشكلة المال) « (٥) .

بالاختصار ان الجنسية المثلية مستبعدة من مجتمعنا
لا بالطبيعة بل بالعادة . ومن الحق ان جيد نفسه لا يخلو
من تحامل وابتسار . ولكن حتى الابتسار في « كوريدون »
والملاحظ تماما ليس ابتسارا في صالح الجنسية المثلية ، بل
هو ابتسار في صالح الفنان .

وهكذا ، بالرغم من انه يقول ان معظم الامم المولعة

(٤) المرجع المذكور .

(٥) كوريدون ص ٢١٢ .

بالحرب في التاريخ كثيرا ما كانت الامم التي ازدهرت فيها الجنسية المثلية ، فانه ليس لدينا ما يدعونا الى ان نفترض في جيد اعجابا خاصا بصفات الولع بالحرب (بصرف النظر من الابتسارات التي يشارك فيها المجتمع والتي ينقدها) . ولكنه عندما يقول ان ما يسميه « أصداء من الجنسية المثلية » هي من الناحية التاريخية فترات الازدهار الفني العظيمة ، فانه يطلق العنان لتحسساته .

يقول ان الفترات الكبرى من الانتاج الفني يجب البحث عنها في اليونان قديما وايطاليا ابان عصر النهضة او فرنسا في عصر النهضة وانجلترا في عصر الملكة اليزابيث والفرس أيام حافظ الشيرازي وروما في عهد اوغسطس ، او فرنسا في عهد لويس الثالث عشر ، وهذه الفترات بالضبط هي الفترات التي كانت فيها اللوامة هي « الفترات الاكثر ظهورا » ويمكنني القول الاكثرها رسمية « (٦) . وفي الحقيقة قد يقول الانسان ان الفترات او الاماكن الوحيدة التي لا يزدهر فيها الفن هي الفترات التي تكون فيها الجنسية المثلية مجهولة . وهذا موقف متطرف . وجيد في سعيه للتبرير يقدم نظرية ليست هي فحسب في صميمها نظرية « كوريدون » بل هي نظرية خاصة بتصوره الكلي للعلاقة بين الجنسية والفن .

(٦) المرجع السابق ص ٣٠٩ .

انه ضد الرأي الذي ينسب للجنسية غاية نفعية محض - مواضلة النوع - ويقول ان مثل هذه النظرية لا يمكن ان تصمد في وجه الهيمنة الشاملة لعنصر الذكر في المجتمع الانساني . وحتى لو كانت هناك نظرية غائبة للمسألة يمكن قبولها ، فان التكاثر لا يمكن ان يكون سوى غاية (واحدة) من غايات الجنسية والا كان التطرف الزائد للعنصر الذكري الذي لا يمكن ان تستنفده هذه المهمة مضیعة تصورا غريبا بالنسبة لهذه النظرية .

عندما تسود الاعتبارات النفعية - مثلا في التربية الجماهيرية - تكون المشكلة قد حلت بشكل مصطنع عن طريق القتل أو الخصاء ، فحل يخصص للقطيع ، وديك يخصص للدجاج وهكذا . ولكن الطبيعة لا تمارس الخصاء . فماذا يحدث للعنصر الذكري في الذكر غير المخصي ؟ يقول جيد ان هذا العنصر يصبح « خامة قابلة للتنويعات » أي مادة متعددة الجوانب . وهو يؤمن بأن هذا هو المفتاح : « لما نسميه رفع مورفين الجنس » (٧) . ومن بين المصادر المختلفة التي يدرجها جيد لتعزيز أو لتصوير قصده لانحتاج أن نشر هنا الا الى برجسون الذي وجد جيد عنده مصطلحات تقليدية جميلة لصياغة موقفه .

يميز برجسون في المادة الحية بين نمطين من الطاقة :

(٧) المرجع السابق ص ٢٢٩ - ٢٣٠ .

اثارة الطاقة والارتقاء بالطاقة : « ان دور الطاقة المثارة هو رفع الطاقة الدنيا الى مستواها الحق بتمثل المواد العضوية . وهذه الطاقة تشكل نسيج المادة » (٨) .

وهذا هو الدور المميز للانثى . ودور الذكر بالعكس ارتقاء بالطاقة حيث ان هذا الدور يرتفع على مثل هذه الانشغالات . ويوضح كوريدون وجهة نظره ويضرب عليها المثل بالاشارة الى خطبة القاها «بيرير» للدورة المشتركة السنوية للاكاديميات الخمس عام ١٩٠٩ ويصبح المتحاور معه اشبه بالكورس .

ان المعاني المتضمنة في هذا الخط من الفكر مؤقتة . ان النصيحة التقليدية للفنان هي : « اتبع الطبيعة اولا » . وهي نصيحة تحتفظ بصدقها بالنسبة لجيد : لكنها اكتسبت قوة جديدة ومعنى جديدا . لقد كانت الطبيعة عند الشاعر الانجليزي الكسندر بوب ومعاصريه - مثلا - مصدرا وضامنا للقيم النفعية (للانسان الشريف) والمجتمع البورجوازي المنظم الذي هو بيئته المناسبة . والعكس هو الصادق الحقيقي عند جيد . ولا يوجد شيء سوف يقوض القوة المقيدة والمحبطة للقيم الاجتماعية التقليدية على نحو سريع اكثر من مواجهة فقرها وبفنى الطبيعة .

وان متابعة الجدل في الاطر النفعية يعني تزييف

(٨) المرجع السابق ص ٢٢٠ .

المسألة فالطبيعة ليست نفعية : فجمال القيم الميتة على جناح
فراشة حركة تلقائية عشوائية - ترف ، لعبة - « فعل
مجاني » .

وقد تزودنا الطبيعة بأمثلة عن مثل هذه الاعمال ،
لكن من طبيعة القضية أن هذه الامثلة لايمكن أن يتناولها
الفنان (كنماذج) . ومطلوب من الفنان وهو يتبع الطبيعة
الا يعبر عن (ما تعبر عنه الطبيعة) بل ان يعبر عن نفسه
(كما تعبر الطبيعة عن نفسها) اي بحركة ذاتية كاملة تنبع
من الوفرة ، والعمل الفني غزارة .

الفصل السابع

مزيفو النقود

في الاهداء الرسمي الموجه الى روجر مارتن دي جار يصف جيد كتاب « مزيفو النقود » بأنه « روايتي الاولى » وبالرغم من أن الطبيعة الثورية للكتاب في عين جيد تتجاوز بكثير المسائل الصورية الخاصة (بالنوع الأدبي) فان المسألة الصورية قد طرحت بوضوح ومكانها في مقدمة العمل .

لماذا رواية ؟ لان الرواية - في المقام الاول - تمثل بالنسبة لجيد ما اسماه جوليوس في كتاب « كهوف الفاتيكان » « المجال المفتوح » . انها تحبب الى جيد بشكل طبيعي صيحة القلب : « دع كل شيء يمكن أن يقع ، يقع » مع القرار :

« انني اريد كل عكس دون تحفظ » (١) .

ولكن اذا لم تكن هناك تحفظات لتأثير جوهر هذه

(١) المذكرات ص ٢٠ .

الرواية التي قصد بها - بوضوح - أن تكون نوعاً من « الخلاصة » فإن لدى مؤلفها تحفظات هامة فيما يتعلق بطابعها .

لقد بحثت الرواية عن خلاصها دوماً في التقارب الاوثق مع الطبيعة . يقول جيد انها لم تعرف اطلاقاً « تباعد الحياة المتعمد » الذي يجعل (الاسلوب) ممكناً عند كتاب الدراما الاغريقيين - مثلاً - أو مسرحيات كتاب القرن السابع عشر في فرنسا . مثل هذه المنتجات المؤسسية منتجات انسانية بشكل كبير : الا انها في الاعماق انسانية فحسب . انها لا تزعم انها واقعية وهي لا تدخل في منافسة مع تأثيرات الطبيعة : انها تكشف الحقيقة الجوهرية التي تكمن في الطبيعة عن طريق الفن .

يقول جيد ان هذا النوع من الامتياز قاصر الى حد كبير على المسرح وهو الآن يفضل ان يحاول في الرواية الصدق المؤسلب والانسانية المؤسلبة التي لدى الشخصيات المسرحية مثل عطيل أو طرطوف .

وبطبيعة الحال ، لا يستطيع ان يستخدم الطريقة نفسها التي لدى كتاب الدراما في العصر الذهبي والذي يقوم فنهم الرئيسي على فن الاختيار والانتقاء ، وعليه هو أن يحقق غايات جمالية مماثلة بتطبيق وسائل فنية مختلفة على (نوع) أدبي آخر . ان الرواية في نظر أصحاب النزعة الطبيعية انما تعرض « لشريحة من الحياة » ، وجيد ليس

لديه ما يعترض به على هذه الصنعة . لكن المشكلة في رايه هي ان الروائيين يقطعون الشريحة دائما في الاتجاه نفسه في الاطار الطولي . فلماذا لا تستقطع الشريحة بالعرض أو بالعمق ؟ ويقول اما بالنسبة له فهو لا يريد ان يستقطع شيئا وهذا هو السبب الذي يجعل الرواية بلا موضوع او بالاحرى بلا موضوع (واحد) كما يقول المؤلف .

والجهد المبذول من اجل الاسلوب هو - لهذا - عام بشكل جوهري : انه الجهد الذي يبذل من اجل (الحياة المؤسسية) ولما كان جيد قد وضع هذا في الاعتبار فانه يتلاعب بفكرة الرواية (الخالصة) غير انه يتبين في التحليل الاخير ان هذه الصيغة انما هي صيغة مفريية اكثر منها صيغة بناءة . وعلى أية حال ، هناك (نوع) ادبي جوهري ادراك الحياة في اطار الاسلوب : ذلك (النوع) هو الملحمة . يكمن جوهر الطريقة الملحمية في نقل الواقع من مستوى الى آخر . ومسألة ما اذا كانت مثل هذه العملية مرغوبة أم لا ليست في ذاتها بالمسألة الهامة لانها محتمة ، فما من فنان يبحث عن عرض الحقيقة يستطيع ان يقصر نفسه على منظور واحد . والفكرة القائلة بأن جيد قد مارس ذات يوم عرض « مزيفو النقود » للقيام بدور بطل واحد - لافكاديو - سرعان ما تخلق عنها .

وبدلا من هذا نجد ان نص الرواية لا يخلق بالشكل السردى القصصي المباشر فقط بل ايضا عن طريق الرسائل

والمذكرات والحوار والمونولوج بل وحتى الاحلام حيث يجري تناول الواقع من وجهات نظر مختلفة ويجري عرض النص في اطر مختلفة مماثلة .

والحادثة التي تدور حولها احداث الكتاب والتي يستمد الكتاب عنوانه منها هي مؤامرة اجرامية تتضمن استغلال عدد من اطفال اسرة طيبة من جانب عصابة تزيف . وخداع مزيفي النقود للاطفال يتم ليرمز الى حدث نمط معين من الادب .

ان التباعد عن الحياة الذي يستطيع ان يجعل الاسلوب ممكنا هو شكل من التجريد ، ويستخدم جيد كلمتي « يضي بطابعا مثاليا » و « يؤسلب » على انهما مترادفان . وهو لا يعتني بالشخصية كشخصية اكثر من عنايته بالحدث كحدث . واحتشاد الشخصيات - مثل احتشاد الاحداث - هو المادة الخام للفنان . ولا تكمن اهميتها فيما هم عليه بل فيما يكشفون عنه ، وما يكشفون عنه لا يتوقف عليهم بل على قوى الرؤية لدى الفنان .

حيث يستخدم الفنان بالفعل انموذجا فانه يبدأ باخضاع مظاهر الانموذج للحركة الذاتية : انه يفرض (على الانموذج من قبل) الحالة التي يظهر فيها الانموذج نفسه . وفي حالة شخصية مستمدة بشكل مباشر من الحياة ، تكون بصعوبة قهر الحركة الذاتية للانموذج شديدة للغاية بل ربما تكون غير قابلة لان تقهرها ، وسوف يتحدى الواقع الذاتي

للائموزج الؤاقع الفنل للشؤصفة؁ وان وظلفة الشؤصفة هف أن تكون شفافة؁ ولكن من طبلعة اللئموزج أن تكون ضبابفة . لهذا فانه غير مسموح سواء للشؤصفات أو للاحداث أن تفرض نفسها على المؤلف واذا كانت مهمة فذلك لانه هو الذي اختارها . غير انه قد فختار غيرها بطرفة مماثلة . من الناحفة النظرفة - على الأقل - فبدا الكتاب بطرلف الصدفة وفضطرء بطرلف الصدفة ففنتهى بطرلف الصدفة .

« انه فستطفع أن فستمر .. بالكلمات التي فحدد (مزفف النقوء) » (٢) .

فاذا لم فكن لروافة « مزفف النقوء » موضوع (جزئف فخاص) فان السبب فرجع الى انه اذا كان هناك اف شفء فمكن أن فنفصل على نحو كاف عن العمل الذي فمكن فمفره على انه « موضوع » فانه ففكون غربفا عن تصور ففء للعمل الفنل نفسه . بقول آخر؁ أن العمل الفنل هو موضوعه عفنه؁ وهذا - بلا شك - هو السبب الاساسف للطفلة التي فلبأ اللفا ففء على نحو مكرر : انه فصور فف الروافة الكاتب وهو فعمل . فف كتاب « مذكرات أندرفه والتر » نجد والتر مؤلف كتاب (المستنفعات)؁ وفف روافة « مزفف النقوء » نجد أءور فكتب « مزفف النقوء » وهكذا ءوالفك . لكن هناك شفء آخر : أن فلق الفن هو فلق الاسلوب؁ والاسلوب هو واقع الفنان وحقفقه .

(٢) مزفف النقوء ص ٤٧٢ .

ينقل الفن المؤسلب الواقع بطريقة الانكسار في الموشور الزجاجي . ان فن الروائي أشبه بفن صاقل الجواهر الذي يقطع الجوهرة ليجعلها تعكس مزيدا من الضوء . والشخصيات المختلفة و (البيئات) المختلفة في « مزيفو النقود » انما تمثل بالمعنى الحرفي وجهات نظر مختلفة .

واحاطة كل وجهات النظر المختلفة هذه برؤية واحدة هي معيار مدى وتعدد امكانيات الفنان . ومن الخطا ان نفكر في « مزيفو النقود » - كما فعل بعض النقاد - على انها تجميع (لتجسيدات افكار) جيد جميعا . فما من شخصية الا وهي ابعد ما تكون عن ان (تمثل) جيد ، والرواية ليست تجميعا بقدر ما ان النقطة المتعارضة ليست تجميعا .

والاطروحات التي في « مزيفو النقود » ليست اطروحات جديدة عند جيد وهي لا يجب ان تكون كذلك . والجدة في الطريقة التي تعرض بها هذه الشخصيات هي التي تبدلهم افيعاد خلقهم ادبيا . (طريقة) الكتاب هو الخلق الحقيقي لجيد في « مزيفو النقود » . وما هو هام في الكتاب ، ما يدور عليه الكتاب - (موضوع) بقول آخر - ليس اي واقع متقبل او مفروض ، بل التباعد بين مثل هذا الواقع وادراكنا عنه :

« منافسة العالم الحقيقي والعرض الذي نقوم نحن بعمله » (٣) .

(٢) مزيفو النقود ص ٢٩٧ .

ولا يوجد شيء أكثر بساطة من الزعم بأن على الواقعي أن يقترب أكثر من الحقيقة وهو يقترب أكثر من « الواقع » فما يقترب منه ليس إلا صورة من الواقع وهي صورة ليس فيها ما يجعلها جذيرة بالثقة أكثر من غيرها . الوقائع هي هدايات لا يعول عليها للحقيقة لأنها في جوهرها مضللة . وقبل أن نقدر معنى الواقعية ، قبل أن نفهم طبيعتها الحقيقية ، يجب أن نقيمها تقديرا ، وعملية التقييم هذه لا يمكن أن تبدأ بالوقائع ، يجب أن تبدأ بالأفكار :

« ان الواقعيين ينقلون الوقائع ، ويفقدون الوقائع لأفكارهم . ان برنار شخص واقعي . واخشى الا يستطيع ان اتحاد معه » (٤) .

ولا يمكن لشيء أن يكون أكثر وضوحا وربما أكثر عدلا من هذا التأكيد للحركة الذاتية لدى الفنان . ولكن هناك شيء في الموقف الذي قصد منه جيد أن يكتب «مزيفو النقود» ليس ببساطة الاعتراف بالنسبة التي يبدو أنها قامت عليها .

لم يحدث من قبل أن اعتنق جيد نفمة قاسية مثل تلك النفمة التي في « مزيفو النقود » فتصوير شخص ذي رسالة أدبية معقولة من كتاب « كهوف الفاتيكان » - مثلا - جرى بنوع من الازدراء الفكه الذي يحض على المشاركة

(٤) المرجع السابق .

الوجدانية أحيانا . اما تصوير « باسافانت » في « مزيفو النقود » فقد جرى بكراهية حقيقية . ووصف غداء ادوار مع مولينييه خشن لدرجة الوحشية . وتقوى « فيدل » مديرة المنزل يصبح بفيضا بالاستغلال البشع لراشيل .

ونادرا ما يقال ان جيد كاتب فكه عظيم . وكتاب « المستنقعات » على سبيل المثال يجب ان يكون من أكثر الكتب التي الفت فكاهة . وهناك فكاهة من نوع ما في رواية « مزيفو النقود » ولكن نادرا ما تكون الفكاهة أكثر مرارة مما هي على لسان آرماند - الروح الحساسة التي فيها يتخثر لبن الشفقة الانسانية بالاشمئزاز .

ان الهجوم على الرياء ، والتنديد بالحقيقة الدنيئة الكامنة وراء المظاهر الموقرة أمور ليست جديدة ولا أصيلة عند جيد . والمرارة الخاصة لرواية « مزيفو النقود » لا يجب شرحها بأن الرياء قد سمح له ان يفرض نفسه . بل يجب شرحها بأن الحقيقة ، أو على الأقل الإيمان الصالح ، ممنوعة أو غير بيّنة . وهنا شيء أكثر من مجرد اختلاف في التأكيد .

ولكي نفهم هذه المرارة ليس علينا الا ان ننظر في حالة جيد العقلية في وقت كتابة « مزيفو النقود » . لقد حكى لنا ان كل كتابه هو دعوى قضائية ضد نفسه موجهة الى أولئك الذين يعتبرهم عزيزين عليه وخاصة زوجته بطبيعة الحال .

ان كل سطر كتبه قد كتبه لها ، وكل كلمة موجهة اليها بأمل تعليمها ان تفهم ودفعها الى الففران ، وتمكينها من مجبته . لقد تشكلت شخصيته كلها بمحاولة التطابق مع الصورة التي يعتقد أنها تجدها مقبولة . وهذه الصورة هي التي ظل حتى تلك اللحظة سجيناً لها . وما رفضه في «مزيفو النقود» أن يرسم نفسه على هذا القرار الا فعلاً من أفعال الانعتاق . وهو من أجل الحب قد قبل تسوية إخلاصه كفنان: لكن الثمن كان باهظاً بشكل لا يستطيع الحب أن يدفعه . والإخلاص هو رهينة الحب ، ومرة أخرى فإن العمل الفني تحرر ، ولكن ما من هزة فرح تصاحب هذا التحرر ، لأنه تحرر من الحب .

وفي مذكراته عن « مزيفو النقود » التي احتفظ بها وهو يكتب الرواية والتي تتضمن تأملاته اليومية في تقديمها يثير عملية لم يصفها في الواقع بالتفصيل في « مزيفو النقود » لكن تأثيرها مع هذا يحيط ويهجن - في الواقع - على العمل كله . فبعد أن أشار إلى مفهوم « البلورة » الذي شهره ستندال يواصل الكلام فيقول : بينما « البلورة » التي يتحدث عنها ستندال تكون فجائية فإن شجن الحب يوجد في العملية العكسية « الشغل المتد العكسي الا وهو شغل (التفكك) » (٥) .

وفي هذه العملية يلعب دين مادلين دوراً حاسماً . ان

(٥) المذكرات ص ٢٠ .

جيد يشعر بغيرة من الله الذي يبدو لـنه في ضوء منافس
منتصر بوسيلة غير عادلة . وهو لا يتعلم كراهية هذا المنافس
فحسب ، بل كل شيء مستمد منه . وهو يكره فوق كل
شيء حائط التعصب الاعمى والتجامل والابتسار الذي يحول
بينه وبين أن يحظى حتى بمن يسمعه بعدالة قبل أن يحكم
عليه .

وفشل أصدقائه المسيحيين - وخاصة مادلين - في
الاستجابة الى الدعوى الطويلة والحارة للفهم المتعاطف الكامن
في كل شيء كتبه يبدو غير عادل بسبب التضحيات التي بذلها
ليستبقي مشاعرهم (هم) و اظهار تقدير اصيل لوجهة نظرهم
(هم) . ولقد أوصل الكرم الى حد تشويه النفس . فقد
دفعته رفته الى كبت الحقيقة ، والان واضح أن الرقة لن
تجدي . ولو يقدر له أن يعيش حياته ويتحدث عن الحياة
حسب ما يراها اي اذا كان (نفسه) اذن فان التنازلات التي
اتخذها حتى هذه اللحظة يجب أن تتوقف . وهذه هي الروح
التي تسيطر على قصة الليدي جريفيث عن غرق السفينة
« بورغونيا » . فتقص كيف أن البحارة في قارب انقاذ
مزدحم بمن فيه قد قطعوا أيدي أو أصابع الناجين الذين
كانوا يحاولون أن يعيلوه .

لقد أحرزت الليدي جريفيث قوة جديدة ، أو على
الأقل صلابة جديدة من خلال زوال الوهم عندها ، وكذلك
الامر مع جيد . والصراع الطويل للتوافق مع اطار قيم مادلين

وعالم مادلين قد انتهى . لقد فشل التوفيق في تقديم أساسي للتصالح والآن قد رفض التوفيق أو الصالح . والاحباط الذي شعر به جيد ازاء عماء أصدقائه البورجوازيين المحترمين - وهو عماء مرغوب - يحل محله شعور بالكراهية: فالمجتمع عفن حتى النخاع .

وجيد يتقبل وصف نقاده لعمله على انه عمل من اعمال التفكك : ولكنه يشير الى ان ما يتحلل ليس سوى « مركب واقعي ، حطام من الاخلاق المنحلة والاحكام المبتسرة » (٦) .

ومع هذا اذا كان جيد قد استمد قوة معينة من زوال الوهم هذا فانه قد فقد ما كان حتى ذياك الوقت اكبر الهام له ككاتب . وحالة الحوار التي لازمت ابداعاته العظيمة لم تعد تلقائية وحيوية . والمحاولة المبذولة لانعاش التوتر الجدلي في « اللا اخلاقي » و « الباب الضيق » عن طريق شخصيتي جنيفيف وروبرت توضح هذا بجلاء شديد .

وفي الحقيقة لم ينتج جيد بعد رواية « مزيفو النقود » - بالرغم من انه عاش وكتب لاكثر من ثلاثين سنة اخرى - شيئا يرقى كادب خلاق لرواية « مزيفو النقود » والاعمال التي سبقتها . ومذكرات رحلاته في افريقيا الاستوائية الفرنسية - « الى الكونفو » (١٩٢٧) ، « جولة في تشاد » (١٩٢٨) - هي روائع كسر صحفي ، وهي لها تأثير عميق

(٦) رسالة الى روفير ص ٥٥٨ - ٥٥٩ .

على قرائها الاولين ، غير انها ليست في جوهرها اعمالا فنية وقيمتها محلية مرتبطة بوقتها اكثر من اعمال جيد الكبرى .

والشيء نفسه يصدق على بعض مقالات جيد النقدية العديدة . وبالرغم من أن الكتب : « ذرائع » (١٩٠٣) و « ذرائع جديدة » و « حادثات » (١٩٢٤) تحتوي على قدر كبير مما له قيمة دائمة ، وبالرغم من أن كتاباته عن « شوبان » (١٩٤٨) أو « بوزان » (١٩٤٥) قد نالت تعليقات حارة من الاخصائيين والناس العاديين على السواء ، فقد كان علينا أن ننتظر حتى ينشر « تيسيوبس » عام ١٩٤٦ حتى نجد انجازا مقنعا حقا بالمعنى الخلاق المحض .

ومع هذا ربما كان هناك عمل واحد في كل انتاج جيد قد حقق عملا مخدرا : « روبرت أو المصلحة العامة » (١٩٢٩) بمنتهى الصراحة يمكن القول أن جيد عندما كتب هذه الدراما المبهرجة عن المسغبة الصناعية لم يكن في وعيه بالمعنى الحرفي . لقد استسلمت هذه النفس في سنوات قليلة من حياة طويلة الامل لداع غير داعي الادب .

الفصل الثامن

جيد والشيوعية

لم يلتحق جيد اطلاقا بالحزب الشيوعي . وهو بالمنى الضيق السائد الآن عن هذه الكلمة لم يكن في الحقيقة شيوعيا على الاطلاق . ولكن هناك مقتطفات من مذكراته التي نشرها عام ١٩٣١ و ١٩٣٢ ترقى مع هذا الى اعتناق عام لقضية الشيوعية و اعلان التضامن مع الاتحاد السوفيتي .

« انني اريد ان اصرح علانية بتعاطفي مع الروس » (١)
« ان كل قلبي يصفق لهم » (٢) .

« انني اريد ان اكرس حياتي لكي اؤكد نجاح الاتحاد السوفيتي ، وانني اعطيه تاييدي » (٣) .

من الحق انه كان على جيد ان يضع عقبات كبيرة على طريق الشيوعية ومن هذه العقبات نجد عقبة اساسية هي

(١) المذكرات ص ١٠٦٦ .

(٢) المذكرات ص ١٠٤٤ .

(٣) المذكرات ص ١١٢٦ .

بلا شك نقص الحس التاريخي الذي يرجعه جيد الى تأثير
مالا رمية والجماليات الرمزية (٤) عليه كما عبر عن هذا
في خطاب الى شلومبرجر الذي أعرب عن دهشته «لانقلاب»
جيد الفجائي . فالرمزيون الذين أحاطوا مالا رمية لم يكن
لديهم الا احتقار لكل ما ليس « مطلقا » وما يمت الى التاريخ
والى الواقع اليومي لعالم متغير ليس له مكان في العالم
الصافي عالم الفن . وهذه النزعة فهم منها انها رد فعل عنيف
ضد النزعة الطبيعية في الفن : لكنها تستبعد بطبيعة الحال
اكل المسائل الاجتماعية من اهتمامات الفنان والتي كان ينظر
اليها على انها مجرد « أمور عارضة » .

وبعد اربعين عاما شعر جيد بانه يدفع غالبا مقابل
مثل هذا الاستبعاد (٥) وخاصة وان سمعة هواية الفن التي
احرزها نتيجة قناعاته الشابة تعوقه في أوجه نشاطاته الحالية
بأن يكون لها احياءات او مدلولات معادية ممكنة لم يأخذها
اخدا جادا تماما (٦) .

ومن المؤكد الآن ان الدوافع العفوية للايام الخوالى قد
اكتسبت لأول مرة معنى واضحا متعلقا بالفرض والاتجاه :

(٤) وان كان يتحدث في موضع آخر انه معاد للطبيعة التاريخية

انظر : المذكرات ص ١٢١٨ ، ١٢٢٧ .

(٥) المذكرات ص ١٢٢٧ .

(٦) انظر رسالة الى جان جيوتو في الادب المترجم ص ١٢ - ١٤ .

غير أن الاتجاه نفسه ليس جديدا . وقد اعترض جيد على وصف اعتناقه للشيوعية بأنه « انقلاب » ، بأن افكاره ومشاعره كانت دائما تقدمية - بل حتى ثورية - وهي لا تزال كذلك : ولكن بينما كان في الماضي يتخبط نحو الامام بطريقة غير بصرية « ... فأنني في الوقت الراهن اتقدم ولدي اتجاه نحو شيء ما » (٧) .

وقد أعقب هذا النص تنصل من أي التزام سياسي ورفض الانضمام الى أي حزب : ولكن دلالة ما يسجله هنا لا يحسب ضده . وظروف البشرية في العالم لم تعد تظهر هنا الآن مسألة من مسائل الفائدة الخلقية فحسب أو في الحقيقة مسألة من مسائل الفائدة المحلية بل كقضية سياسية، وبعد أيام قليلة سلم بهذا . انه يعترف الآن بأن آراءه (قد) تغيرت . وبينما شعر دائما حتى هذه اللحظة ان المشكلة الخلقية أكثر إلحاحا من المشكلة الاجتماعية ، وان على الإنسان أولا أن يغير الإنسان قبل أن يستطيع أن يغير المجتمع، فانه يرى الآن ان هذه القضية ليست قضية حقيقية . ان التجدد الخلقى للإنسان مهم كما هو الحال دائما ، لكنه يراه الآن كهدف للثورة الاجتماعية لا كوسيلة لها .

ومع هذا مهما كانت مقاصد جيد طيبة - كما كان يعرف هو نفسه تماما - لم تكن لديه مواهب ممتازة للسياسة . ومن المؤكد انه لم يكن ولم يزعم أبدا بأنه تلميذ

مقتنع بماركس . لقد بذل بعض المحاولات حتى يآلف الكتب الكلاسيكية الماركسية : ولكن دون نتيجة كبيرة . وعندما كتب شيوعي تشيكي شاب يهنئه على أنه خص ريكاردو عالم الاقتصاد صفحات كتبها « بروح من الماركسية الخالصة » جاء رد جيد فصيحا :

« هيا ، هذا هو الافضل ! هكذا كان ! ولكني أرجوكم حتى لو كنت ماركسيا ان تتركوني هكذا دون ان اعرف » (٨) . ان الكتابات النظرية الماركسية لاعلام الماركسيين الكبار لم تلعب الا دورا بسيطا او لم تلعب دورا على الاطلاق لحمل جيد الى الشيوعية . واذا جاز لنا ان نتحدث بدقة لقلنا ان الشيوعية عند جيد لا تمثل قناعة على الاطلاق ، انها ايمان ، وهذا الدين ليس هو الآخر بالجديد فهو يبدو عند جيد مسطحا وشائعا معا . ومع هذا كانت فكرته جريئة ، فكرة انه سعيد ان يضع هذا الايمان في حماية اسم الشيوعية ، ألم يكن لينين نفسه هو الذي تحدث عن « الروح الديمقراطية الثورية للمسيحية البدائية » ؟ . (٩)

ولما شعر جيد بيقين من جانب مثل هذه السلطة غير المشكوك فيها شعر بحرية لكي يتوسع ، ويقول ان ما حمله الى الشيوعية ليس ماركس بل الاناجيل :

(٨) المذكرات ص ١٢١٢ .

(٩) المذكرات ص ١٢٢٨ .

« انها تعاليم الكنيسة الانجيليكية هي التي جعدوها - انطلاقا من الفرور - تسيطر على كل تكويني وهم الذين القوا في ذهني الشك في قيمتي الحقيقية ، احترام الآخرين ، لذاكرتي ، ولقيمتي ، وهم الذين دعموا في نفسي الاحتقار ، النفور (الذي كان دون أي شك فطري في) لكل امتلاك حقيقي ولكل احتكار » (١٠) .

ان ما كان قد فكر فيه لينين لو كان قد وجد نفسه يرعى مثل هذا الاعلان هو الى حد ما قد اوحى به صعوبة واجهها جيد وعزاها فحسب الى سوء الفهم :

« ان الفكرة الوحيدة للدفاع هي انه يجب الدفاع عن المسيح وجها لوجه مع الرفاق الشيوعيين ، ولكن هذا يبدو لي مستحيلا » (١١) .

ان عدو العمال هو الدين القائم على المؤسسات الكهنوتية بكل اساقفته وعقائده القطعية وتحالفه التقليدي مع السلطة المدنية والثروة . لكن الكنيسة قد خانت المسيح ، المسيح الذي علم ومارس الانسانية والمسغبة والمحبة الفامرة للبشر الآخرين .

لقد أدرك جيد حظه الكبير - دون ما راحة بل بشعور

(١٠) المذكرات ص ١١٧٦ .

(١١) المذكرات ص ١١٧٨ .

حتى بالاثم (١٢) - وحاول بشدة ان يفهم موقف الثورية البروليتارية الاصلية . وجاءت خيبة امله من نقص كبير في هذه الثورية بالاهتمام بالمسائل الروحية العميقة التي يملأ بها شخص المسيح الانجليكاني العقل والقلب . لكن الامر مفهوم . فوق كل شيء لا يجب توجيه لوم يمكن ان يستغله اعداء الشيوعية كدريعة لضرب روسيا . ان اعداء الشيوعية دائما يهتمون الشيوعيين باهمال القيم الثقافية والروحية لصالح التعلق التام بالاشياء المادية . وقد اندفع جيد لتلافي هذا الهجوم فاحتج مرارا ضد جوره . وقد اصر على ان الاتحاد السوفيتي لا يهمل الجوانب الثقافية او الروحية للحياة الانسانية ، ولكن في الظروف الراهنة من الطبيعي ان يعني نفسه بالمشكلات المادية (اولا) .

وعلى اية حال كثيرا ما ادلى جيد بهذه النظرة حتى ان الانسان لا يملك الا ان يشعر بان هناك قلقا ما وراء العدوان وحاجة الى التاكيد لنفسه اذا اقتضى الامر .

ولقد كانت حساسيته بالنسبة لنقد الاتحاد السوفيتي مرضية . وخلال سعيه لتدعيم قناعاته او كبت اعتراضاته ارتد الى مجادلات اصبحت مألوفة منذ ذباك الوقت . هل يتخيل اعداء الشيوعية انهم بوصم الاتحاد السوفيتي سينجون في تحليل بشاعة مجتمعات اوربا الغربية ؟ ثم جاء

(١٢) المذكرات ص ١١٨٩ .

النداء الشهير للمستقبل : بطبيعة الحال ليس كل شيء على ما يرام في الاتحاد السوفييتي (الآن) : لكن الاتحاد السوفييتي - على عكس الديمقراطيات الغربية - هو على الأقل على الدرب الصحيح ويتحرك نحو الهدف الصحيح . وبدلاً من التنديد بأشكال النقص فيه يفضل بنا أن نساعد على تحقيق أهدافه ، ومن العبث أن نعرض ذلك الهدف على أنه قاصر على تحسين الظروف المادية للوجود . ومما لا شك فيه أن الكفاح المادي هو العامل المحدد في السياسة الشيوعية في هذه المرحلة ، لكن هذه ليست سوى حقبة مؤقتة أما الذي يهم فهو الهدف .

أن تمسك جيد بالشيوعية كثيراً ما يفسر بحاجته إلى أن يدور حول محور « قضية » ما . وحدث مقارنة هذا (بتقاربه) المتلاشي السابق من (العمل الفرنسي) . وفي الحقيقة ليست هناك إلا رابطة واهنة بين الحالتين فإن اعتناق جيد العاطفي للقضية الشيوعية يرجع إلى سوء فهم - كان أكثر معقولة منذ ثلاثين عاماً عما هو اليوم - تشبث به يائساً وبشكل مرضي إلى أن لم يعد قادراً على أن يخدع نفسه : على الأقل في مسألة الأهداف - لابد أن المسألة بدت لجيد - أنه لم ينضم إلى الشيوعيين بأكثر مما انضم الشيوعيون (له) !

لم يكن اسم لينين أو ستالين معروفاً خارج أرشيفات البوليس السري للقيصر ، والثورة البلشفية ثورة أكتوبر

وسط سحب المستقبل تبدو بعيدة ، حتى أنها لم تكن تعدو أن تكون أكثر الاحلام ضبابية في عقل قلة من المتعصبين ، عندما وضع جيد على لسان ميشيل اعترافا بالايان لم يستطع اطلاقا فيما بعد أن يتنصل منه . ولقد سبق لنا أن أشرنا الى هذا الاعتراف بالايان في سياق خاص : لكن دلالة ليست قاصرة على سياق واحد وليست محتوياته قاصرة على مقال مفرد . لم يكن الامر جديدا تماما في عمل جيد - حتى حينذاك : ولكننا نستطيع - من اجل الاقتناع - تصويره من فصل قصير في « الا اخلاقي » .

فلنتناول أولا النقاط الواضحة . هناك الرعب المتزايد من كل نوع من انواع الترف بل وحتى الراحة التي شمر بها جيد دائما ، وان كانت تستمد معنى جديدا أو تزيد من الكثافة من الوجود المرتبط بسياق اقتصادي واجتماعي . وهناك الاريحية التي لا تلقى ترحيبا كبيرا من جانب الحنو المسيحي ، وقد أحيطت بشعور بالخجل بسبب الجور الذي يعطيه (ومن يشبهه) شعورا بأنه زائد عن الحاجة بينما يدور الآخرون حولها . أن شعوره بالاثم الشخصي هو الذي يعطي منحة لاعلانه :

« لقد اردت أن اخترق الحائط وأترك الزوار يتزايدون » (١٣) .

(١٣) الا اخلاقي من ١٥٨ .

مثل هذه النصوص في حد ذاتها وان كانت جزءا حقيقيا من جيد ليست مصطبغة بطبيعته (بصفة خاصة) انها نصوص مفعمة بالانسانية ومشرية بحس اصيل بالاثم الطبقي، لا الثوري .

وربما كان الاقرب الى ماركس اشارة جيد الى (اغتراب) البروليتاريا عن الجزاء الانساني لاعمالها . ان الاثر المشلوح من الانسانية الخاص بالعمل وقد أخذ بدون فهم وبدون تحمس ولا يكون الا من اجل ضمان البقاء المادي، هو اطروحة من الاطروحات الرئيسية في النظرية الماركسية، ويردد جيد كلام ماركس عندما يقول : « ان العمل كله الذي لا يكون لعبا امر يدعو للرناء » (١٤) .

لكن النغمة الجيدة البارزة تتضح في كماله هذه الفقرة:

« لقد كنت احلم لكل واحد بهذا الفراغ الذي بدونه لا يمكن ان يتفتح أي شيء جديد أو حتى أي شيء سيء وأي فن » أو في الصيغة الكبرى :

« ماذا يستطيع ان يقدر عليه الانسان ثانية ؟ » (١٥) .

وبعد انقضاء نصف عمره لم يتغير شيء : ولكن الآن « والرغبة تلهم الفكرة » ، يصف جيد أهدافه نحو الشيوعية .

(١٤) المرجع السابق .

(١٥) المرجع السابق ص ١٤٨ .

ما هي الاهداف الاخرى تلك التي لا تكون مأساويا غير
جديرة بالتكريس الذي بعثته والتضحيات التي يدعو اليها ؟

ان جيد بعد انقلابه الى الشيوعية يندد بجور موقفه
كما فعل منذ ثلاثين عاما سابقة ، والآن كما كان آنذاك يتعاطف
مع التعاسة المادية للفقراء : ولكن ما يهمله ليس مفبتهم
المادية أو لا أخيرا . وبطبيعة الحال مما يبعث على الدهشة
ان صوت الفقراء يجب ان ينجح أخيرا في ان يجعل نفسه
صوتا قويا . لكن المسغبة ليس لها مطلب استثنائي منا .
بطبيعة الحال يجب ان يتخفف الانسان من المسغبة « مثل
نبات يجب علينا أولا ربه (١٦) لكي يتاح له ان يزهر »
لكن جيد مهتم بالازدهار نفسه .

وهذا بالنسبة له هو معنى التجربة الشيوعية . ان
هدف ومصر الاتحاد السوفيتي هما ان يحدث « ذلك
الازدهار الذي يبدو لي احيانا (السبب الكافي) للانسانية » (١٧)

ان جيد وقد اقام حسب قناعته مجموعة الاهداف
بين الشيوعيين ونفسه ، يشعر بأنه قادر بصفة خاصة
— وهو يقدر جهود الشيوعيين في الاتحاد السوفيتي وغيره —
ان يلح على المكان الحق . وبالرغم من أن المشكلات المادية
قد تزعم أن لها الاولوية مؤقتا فان الاتحاد السوفيتي يعيش

(١٦) المذكرات من ١٢٢٢ .

(١٧) المذكرات من ١١٢٩ .

أساسا لكي يرجي « هذا الانسان الجديد » الذي يستطيع
أن يكتسب « روحا جديدة » (١٨) .

وكما أنه من سوء الفهم — أو سوء العرض — بالنسبة
للاتحاد السوفييتي اتهامه بوضع الاولية لا الافضلية على
الاشياء المادية فان من الخطأ أو الزيف أن نرى في الشيوعية
التضحية بالفرد لصالح المجموع . وطالما أنه قد سمح لجيد
أن يصوغ فروضه وتعريف (الفردية) و (الشيوعية)
بما يلائم أغراضه بتلك الحالة من الاستقلال التي تقوم على
الجهل بالحقائق ، فانه يكون قادرا على الرد على اعتراضاته
وعلى قناعته . يقول جيد أن الذين يفشلون في فهم الامور
هم أولئك الذين يرون تنافرا بين الفردية والشيوعية .

« إذا لم أشعر بتناقضات بين الموقف الشيوعي والموقف
الفردى ، اليس في ذلك دليل على أن هذا التناقض مازال
نظريا ووهميا ؟ » (١٩)

وهكذا هل هناك على الأقل تناقض (نظري) ؟ لا يهم
الامر . أن جيد ينحي هذا جانبا . أنه لا (يشعر) بأي
تناقض ، والشعور أساس أفضل للعمل من استجداء
المنطق . ومن الصعب بالنسبة لجيد في إطار العقل هذا ،
أن يفهم كيف يمكن لأي انسان أن يعتقد أن مبادئ الشيوعية

(١٨) الادب الملزم ص ٦٠ - ٦١ .

(١٩) الادب الملزم ص ٧٢ .

من جهة ، ومبادئ النزعة الفردية من جهة أخرى، متطاحنة. وحتى على مستوى المصلحة الذاتية هذه المبادئ لا تتصارع. يقول جيد انه ليس من صالح الجماهير البحث عن نزع الصفة الفردية Désin dividualiser عن الفرد (٢٠) ، ولكن ليس دفاعا عن مصالح الجماهير كجماهير ما تدفعه اليه كل غريزة من غرائزه . وكما ان الغاية الحقيقية للثورة المادية هو انتاج الثقافة او الحضارة الاصلية ، فان الغاية الحقيقية للثقافة او الحضارة الجماهيرية (بأوسع ما في المصطلح من معنى) هو انتاج الافراد الاصلاء . (٢١)

وطالما ظل تعلق جيد بالشيوعية فان هذا الانفراق او التناقض الظاهري كان مسألة حياة وموت بالنسبة له. وهو يردد هذا دون كلل كما لو كان يريد ان يقنع نفسه :

« انني افضل ان اظل فردانيا حتى الاعماق ولا اقبل ان اكون شيوعيا بمساعدة الشيوعية نفسها » (٢٢) .

ولقد ذهب - حتى في سياقات بعيدة للغاية عن المجادلات السياسية - الى ان الانسان عندما يكون فرديا يفيد اكثر في خدمة المصلحة العامة . والان لم يكن عليه الا ان يضيف:

(٢٠) المذكرات ص ١٢٢٢ .

(٢١) المذكرات ص ١١٢٥ .

(٢٢) الادب الملتمزم ص ٨٥ .

في المجتمع الشيوعي تستطيع فردية كل عضو في المجتمع أن تحصل على تطورها الكامل .

فاذا جرى اقرار هذا الانفراق او التناقض الظاهري فانه لا يوجد سبب يدفع الشيوعي المخلص أن يرتعد من النتائج المحتملة . لقد احتضنهم جيد بحماس : كل الناس أفراد ، لكن بعضهم أكثر فردية من الآخرين ، وهؤلاء الافراد هم الذين سيفضلهم المجتمع الشيوعي بصفة خاصة .

ومن الحق أن شعار المجتمع السوفييتي يقال أنه يدعو الى : « لا أبطال ! » ، ولكن « لا أقبل أبدا ما يفرض علي مما يفصلني عنهم » .

ولكن جيد يفضل أن يعتقد أنه لا بد وأن هناك سوء فهم (٢٣) . (يجب) أن يكون هناك سوء تفاهم ما ! أن الشيوعية (تحتاج) الى تفضيل الفرد الموهوب اذا لم يكن « الوصول الى شجب كل ما نعيش له » (٢٤) . هذه الاحتجاجات ذات أهمية حيوية قصوى : هذا الايمان بالادراك ، تقدم الفرد هو شرط ضروري بالنسبة لتعلق جيد بالشيوعية التي لن تظل حية بعد خسرانها لهذا الشرط . وهو في شغفه لكي يقتنع يتقبل دون نقد خطبة ستالين يوم ٢٣ حزيران (يونيو) ١٩٣١ (حيث يناقش ستالين مسألة

(٢٣) المذكرات ص ١١٠٦ .

(٢٤) المذكرات ص ١١١٦ .

الامتياز في المجتمع الشيوعي (٢٥) وهو يزعم أن هذه الخطبة
ترد على شكوكه بشكل « يدعو الى الاعجاب » (٢٦) . .

وعلى أية حال ان الزعم بان الانسان يتلقى يقينا هو
اعتراف بان الانسان محتاج لاعادة اليقين . ففي غمار فترة
تحالفه مع الشيوعيين تتردد في كل كتاباته نفمة سائدة من
الشك والقلق بل واليأس ، ويظهر هذا بصفة خاصة للقارئ
الذي يستطيع بشكل ما أن يقرأ ما بين السطور .

فبعد أن يندد بمساويء وأشكال جور المجتمع
الرأسمالي - مثلا - يكاد يبدو وكأنه يدافع عن الاقرار
بالرغبة في تحطيم ذلك المجتمع . وجيد لن يستمع الى
الاعتراض القائل بأنه بالرغم من أن المجتمع الرأسمالي قد
يستحق التدمير ، فان طريق الشيوعية قد يفضي الى مجتمع
تكون الرغبة فيه اقل . انه يحتاج :

« انني لم اتوصل الى الاقتناع بان السوفييت (يجب
عليهم وبالضرورة) الوصول الى شجب كل شيء ولهذا فنحن
نعيش » (٢٧) .

هذا النص مقصود به أن يكون تعبيراً عن الثقة : لكنه

(٢٥) البرافدا ، تموز (يوليو) ١٩٣١ .

(٢٦) المذكرات ص ١١٠٩ .

(٢٧) المذكرات ص ١١١٦ (ما بين الاتواس مني انا - الملاف) .

وهو على هذا النحو لا يكاد يحمل طابع الاقناع ودعك من التوهج والصفاء . والقلق المتسلل الذي يكشف نفسه هنا وفي نصوص أخرى عديدة يصبح بين الحين والآخر أكثر شدة وكربا .

ولقد أعاره أحد أصدقائه - وهو بيير نافيل - عددا من البيانات التروتسكية ، ولقد اهتز لما قراه فيها . ومرة أخرى يبدو أن ما ينقصه هو الجدل الشعبي ، فلا شيء يمكن أن يكون أسوأ من انشقاق في صفوف الحزب . كان هذا في عام ١٩٣٢ ولكن في خريف عام ١٩٣٦ - وكان هذا لا يزال قبل رحلته إلى روسيا - امتلا جيد بالشكوك فمحاكمات الخيانة في موسكو التي قرا عنها أنباء كاملة في « صحيفة موسكو » ملأته بالفزع وبقلق لا يمكن التعبير عنه . ويستطيع الإنسان أن يلخص كل هذا الحشد من الاعترافات .

« الاحتفاء بالنظام والرجل لانهما منعا الأشياء التي كانا سيخاطران بحياتهما من أجلها » (٢٨) .

ولو كانت هواجسه أقل دقة فان الهواجس الأخرى أكثر تأثيرا . وحتى يلاحظ مستحسنا الصفة الدينية في الإيمان الشيوعي يجد نفسه مرغما على اتخاذ تحفظات معينة فالدين يتضمن كهنوتا ونصوصا مقدسة قد لا يجري تساؤل حول قوتها ولا تتعرض للنقد أي من هذه الأمور التي ظلت

(٢٨) المذكرات ص ١٢٥٥ .

طوال حياة جيد تملؤه اشمئزازا واستهجانا . ولا يكفي مجرد الاحتجاج واعلان شك الانسان في وجه كل الكهنوت والمسألة لا يجب الزوجان منها . ولما كان جيد محصورا بين قرني احراجة فاننا نتبين اكثر حقيقة المسألة بالنسبة له :

« انني افهم من ذلك مدى الاحتياج الى استدعاءسلطة وتجميع حشد من حولها . ولكنني هنا اترك المسألة او على الاقل افعل هذا لو بقيت معهم ، لان قلبي وعقلي هما اللذان نصحاني بذلك ، وليس لانني ارى الاوامر (مكتوبة) . وانني افهم مما تبقى الرغبة لتوحيد الفكر الذي يراود هتلر اليوم وتقليد موسوليني ولكنه الفكر الذي لايمكن الحصول عليه الا عن طريق الارهاب ، وهو ناتج عن ضعف في الذاكرة . ان القيمة الخاصة والفردية تخضع للقيمة الجمعية وبدونها لا تملك أية قيمة » (٢٩) .

ان الامر كما لو كان بطولة « قيمة فردية خاصة » (ضد) « لست اعرف أية قيمة كلية » قائمة في مجرد الخضوع للكهنوت هي التي دفعت جيد الى تعصيد الشيوعية! ولقد تمسك يائسا بمحاولاته ان يرى المجتمع السوفييتي في ذلك الاطار . لقد اخبرنا - لقد اخبرهم (هم) - أية امكانيات عجيبية قائمة امام الكتاب السوفييت في الحاضر والمستقبل . وكم يكون اليقين جميلا ان نرى مزيدا من العلاقات الدالة

على أن هذه الامكانيات تتحقق او سوف تتحقق ! ولقد التهم المنشورات السوفيتية المعاصرة وكله امل : ولكن بالرغم من انه قال ان بعضها يدعو الى الاعجاب « (وهو لم يحدد ما هي المنشورات المقصودة) ، اضطر ان يعترف بانه لم ير حتى الآن عملا يتجسد فيه « الانسان الجديد » ، انسان السوفييت « الذي ننتظره » (٣٠) ، وبينما نحن منتظرون يتولانا العجب . فهل من الممكن ان « الانسان الجديد » انسان المجتمع السوفيتي والادب السوفيتي يمكن ان يبرهن على انه سراب ؟ هل تعاسة ضحايا الرأسمالية الروسية التعاسة هي التي تجعلهم مهمين ؟ هل من الممكن وقد اتاحت لهم الآن فرصة الكلام بالنسبة للفقراء والمسحوقين ان ليس امامهم ما يقولونه ؟

« وطالما ان النبات لم ينبت بعد فانه لا يمكننا ان نأمل في ان يأتي الازدهار جيّدا . وبالألوهام العديدة التي تحيط بكل هذه المسألة ! يالها من مرارة عندما لا نستطيع ان نضع احتقارنا الا على حساب الحشود ! » (٣١) .

هذه الهواجس تحيي من جديد مشكلة اعتقد جيّد - على الاقل مؤقتا - انه حلها . ان الهدف الاقصى لمساعي جيد منذ البداية حتى النهاية هو تحرير البشرية من القيود

(٣٠) المذكرات ص ٩٤ .

(٣١) المذكرات ص ١٢٢٤ .

المصطنعة وتنمية جميع الثروات الكامنة في الانسانية ، ويمكن التعبير عن هذا بأنه محاولة لخلق نمط من البشر أكثر تقدما . لقد ألقى بفمار نفسه مع الشيوعيين لأنه توصل الى نتيجة الا وهي : أن ثورة في بناء المجتمع هي شرط مسبق وليس نتيجة لايجاد مثل هذا النمط من البشر . وطالما انه مقتنع بأن الشيوعية تستهدف الفايات التي ظلت دائما اهدافه ، فانه لا توجد تضحية مهما غلت لا يجب بذلها من أجل صالح الشيوعية .

وكما انه يرى انشغال الشيوعيين بالمشكلات المادية كمرحلة مؤقتة على طريق المسائل الروحية الكبرى ، رأى في حياته انشغالا بالمسائل السياسية والاجتماعية كشيء منفصل عما هو أهم شيء بالنسبة له : فنه .

من الحقائق المذهلة والتي تحتاج الى أن نزنها بعناية في الحقيقة أن جيد - حتى في ذروة تحمسه للشيوعية - لم يعتقد اطلاقا - في حالته على الاقل - أن المسألتين يمكن التوفيق بينهما ، فعنده ان الالتفات الى السياسة يعني التخلي عن الادب . وطالما أن ايمانه بالقضية السياسية التي اعتنقها متقد وكامل ، فانه لم يتردد في اتخاذ هذه التضحية:

« ان الفن والادب ليسا الا من نتاج المسائل الاجتماعية، ولا يستطيعان ، اذا ما عرضا أنفسهما للخطر ، الا أن يضلا، وانني مقتنع بذلك تقريبا . ولهذا السبب تجدني صامتا

منذ ان بدأت هذه الاسئلة تحتل مكانها في مخيلتي « (٣٢) .

وفي عام ١٩٣٦ قام جيد بزيارته الشهيرة للاتحاد السوفييتي . وما رآه كان كافيا لاقتناعه انه كان يعيش وهما كبيرا من صنعه هو الى حد كبير . وعند عودته كتب « جولة في الاتحاد السوفييتي » وهو كتاب يحدد تحلله من المصاهرة مع الشيوعيين ، وأصبح الكتاب لأكثر من جيل من المتعاطفين الشيوعيين الكتاب الكلاسيكي لزوال الوهم . وعلى أية حال ، بدأ الوهم — كما رأينا — يتبدد قبل ان يفادر جيد باريس بفترة طويلة . وما حققته الرحلة الى روسيا هو أساسا تدعيم المخاوف القائمة وتطهير ما كان منذ البداية حتى النهاية سوء فهم مرضيا تطهيرا نهائيا .

ولم يتخل جيد عن أي من مثله الثورية ، غير انه لم يعد ثانية اطلاقا الى السياسة .

والاهتمامات الاخرى اصبحت ضاغطة ، لقد كان العالم يتحرك حثيثا نحو الحرب . وكان جيد يقترب من نهاية خيبة استمرت ثلاث عشرة سنة ، وكانت هناك بعض الاشياء التي لا تزال تحتاج الى ان يقال .

الفصل التاسع

الكتابات الشخصية

كتب روسو في بداية كتابه « اعترافات » : « انني مقدم على مشروع تصوره لا سابقة له وتنفيذه لن يجد له نظيرا . انني اعتزم أن اري رفاقي من البشر انسانا وسط صدق الطبيعة ، وهذا الانسان سيكون شخصي انا » (١)

ويستحيل الا نتذكر هذه الكلمات ونحن نتأمل في عدد وطبيعة أشكال الثقة التي كان جيد يمنحها للجمهور طوال حياته ولو حتى من وراء القبر ان جاز لنا مثل هذا القول .

ومن الحق أن احدى كتابات جيد كان المقصود بها في المقام الأكبر أن تكون اعتذارا على غرار جان جاك روسو : وهي الشذرة من سيرته الذاتية بعنوان : « لو لم تمت البذرة » والتي نشرت عام ١٩٢٦ مع كتاب كوريدون . هنا نجد أن وشائج القربى مع روسو كبيرة جدا . ونحن نجد في كلا الكتابين المزاعم نفسها عن الاخلاص والانكشافات

(١) المؤلفات الكاملة ، المجلد الاول ص ٥ .

« الفاضحة » نفسها منذ البداية والتي تكاد تعرض كدليل على حسن الطوية . وهناك ايضا للتحمس الشديد من جانب المؤلف ان يخل من نفسه على حساب كرامته الشخصية ، ونجد الزهو المتسلل نفسه . . . والمهارة الفنية نفسها .

ان جيد شأنه في هذا شأن روسو يحتج على صراحته :
« ان روايتي ليس لها الحق الا ان تكون صادقة » (٢) .

غير ان الحقيقة لن تكون في اقصاها سوى حقيقة (منتقاة) : ولا يمكن ان تكون على نحو آخر . وان انتقاء المادة لن يكون دائما في صالح المصارحة الممكنة الكاملة .

« انني الفني ذكرياتي ، هذا الجانب الاولي دفعة واحدة ، كل التأملات والاعتبارات حتى اكتسب سمعة (المفكر) . وهي لا تحل محلها ، وهذا هو في رأي داعية الفن » (٣) .

لقد افضت عبقرية جيد بالنسبة للتناقض الجدلي ، مباشرة الى المسألة الحاسمة : يجب ان ترضي ذكرياته معيارين : يجب ان ترضي مطالب الحقيقة دون اهمال مطالب الفن .

ومن الحق انه بالرغم من استعداده الظاهري للقيام بتوضيح الفن كما اشرنا ، فانه بالرغم من التاكيد المكتسح من

(٢) لو لم تمت البذرة ص ٣٤٩ .

(٣) المذكرات ص ٦١٧ .

أن كل شيء يتراجع أمام مطالب الفن ، نجد جيد أحيانا يستاء من هذه المطالب ويكاد يعتذر عنها . ويحدث أحيانا وهو يتأمل فيما قد كتب أنه تعليق وهو يعتقد أنه في صفحات معينة بأن الأسلوب « يجعلنا نلاحظ كم هو دقيق لكي يكون كاتباً ممتازاً رائعاً » (٤) . أنه يصحح وينقح لا لكي يصقل أسلوبه بل لينقيه عندما يبدو له مفرطاً في الوعي ، مفرطاً في العناية ، مفرطاً في الصياغة الأدبية .

وعلى أية حال فإن هذه التحفظات لا تتحدد بالمرّة بوعي جزئي بالحاجة لقص الحقيقة العارية بشكل قصصي واقعي . بل بالعكس ، أن كتب المذكرات التي كتبها جيد تمتلئ بالتصريحات المماثلة المطبقة بالمثل على أعماله الروائية . وبسبب الدواعي (الفنية) لا يجب أن يظهر اهتمام المؤلف بالشكل في « لو لم تمت البذرة » :

أن الغريزة التي أفضت بجيد إلى أن يطرح - باسم الفن - عباءة « المفكر » فهي غريزة قوية . أن اهتمام المفكر - كمفكر - لا صلة له كثيراً بالحقيقة بقدر ما أن له صلة (باكتشاف) الحقيقة . وحتى حيث ينسب الفنان إلى الحقيقة الأهمية نفسها كما يفعل المفكر فإن عنايته (هو) كفنان هي مع (عرض) الحقيقة . لقد سبق لبوالو أن رأى منذ أكثر من قرنين ونصف قرن أن هذه التفرقة تواجه الفنان

(٤) المذكرات ص ٦٢٢ .

بمازق (هـ) ، ولقد طرح جيد هذا المازق في حدوده هو . أن مشكلة (التعبير) عن الحقيقة - التي هي مشكلة الفنان - هي مشكلة (الاخلاص) ، وعلامات النصوص المتناثرة خلال عمل جيد تبرز الاهمية التي يعزوها جيد لها .

ان مذكراته بصفة خاصة لا يمكن ان تكتب بمعزل عن حالة كتابتها . ومهما يكن ما هو مميز أو جديد في شخصية من الشخصيات لا يمكن ابرازه الا بأسلوب التمايز والجدة المقارنتين . ان الاستسلام للتقليدي والمبتذل الشائع في الكتابة ، هو استسلام للاصالة ، وهذا يقتضي في الكتابة جهدا كبيرا من المهارة حتى يصبح الانسان نفسه . ان نوع الجملة التي نميز بها على التو كاتبا معيناً يجب ان تكون - كما يقول جيد - صلبة للسيطرة « كبنيان أوليس » (٦) .

اذن فان كتاب « لو لم تمت البذرة » هو عمل فني على شكل اعتراف بقدر ما هو اعتراف على شكل عمل فني . والنماذج والنسب في « لو لم تمت البذرة » تمتاز بالوضوح والتوازن مما ليس واضحا على سطح الحياة ، ولكنه مما قد يكون اقل تضليلا عن المظاهر المصطنعة التي تبرزها .

وهكذا نجد أن الاختلافات في الاصول الجغرافية لوالديه - فقد انحدرت أسرة والدته من نورماندي وانحدرت أسرة

(هـ) فن الشعر .

(٦) مذكرات دون لاويغ ص ٥٧ .

والده من سيفن - تحظى بأهمية ما كان يمكن أن تحظاها في حد ذاتها . وبعد أن يبنى جيد سلسلة ذات تأثير من التناقضات بين الخلفية الفنية النورماندية لأسرة أمه والصرامة الخاصة بسيفين البروتستانتية التي انحدرت منها أسرة والده ، يوحى لنا بأن ذلك الصراع بين هذه التأثيرات المتناقضة هي المصدر الأكبر لعمله كفنان . ولا يهم أن هذه النظرية - بعملية قط بسيطة - يمكن أن تترد إلى العبث بشكل سريع ، فإن ما يهم هو اقتناع جيد أنه بآية حال في مسأله ، يمكن فحسب للعمل الفني أن يرتفع على القوى المتصارعة داخله إلى مستوى التناقض الجدلي ومن ثم يشكل وحدة . أن حدود الجغرافيا والبيولوجيا التي يجري التعبير فيها عن هذه البصيرة - ربما تحت تأثير « تين » أو مجرد معارضة « باريس » - هي أكثر من مجرد اقتناع .

أن الأوصاف الطويلة لتبعاته العلمية ، وموضوعات أبحاثه لا يمكن أن تكون أقل عرضية ، ونحن نتذكر أن الذي كتبها هو مؤلف « كوريدون » . وأن الوقت الذي خصصه لدراساته للبيان يصبح مفهوما أكثر عندما نتذكر الاستخدام الذي وضع له حسابا مماثلا في مذكرات اليسا ، أو أنه قد استمر شخصية أحد مدرسيه مباشرة من الحياة ونقلها في صفحات « مزيفو النقود » .

أن انتقاء المادة وتوزيع التأكيد في « لو لم تمت البذرة » أبعد بكثير أن يكونا قد تما بشكل عفوي ، أنهما تابعان لخطة

هي شيء أكثر من مجرد مزاج فني . ويعبر مجرد جيد لدراساته الادبية عن شيء هو أكثر من ذلك الذي يسرده . وهكذا نجد ان الوصف الذي يتكون لدينا عن دراسته المتحمسة في آن واحد للانجيل والكلاسيات الاغريقية ، انما يمثل شيئاً أكثر من مجرد (القراءة) . ان هذا الوصف هو في الواقع قطعة ممتازة من الدفاع ذات تأثير بالغ لاننا ننسى انها قد كتبت بعد حوالي عشرين عاما من الاحداث موضع النظر على يد انسان لا يقل براءة عن الطفل الموصوف . وجيد وهو يروي هذا الفصل من ماضيه حريص على الا يؤكد فحسب انه لا يعرض ايا من هذين الحماسين المتناقضين على حساب الآخر : بل ينال (كلاهما) توهجا فريدا لانه يشارك (بكليهما) ايمانويل . وهما يقرآن معا التراجميات اليونانية وهومر (في ترجمة الكونت دي ليل) انما يعيشان ارتباطا لا يتجاوز توهجا وباطنية بالارتباط الآخر الذي يتقاسمانه في عيد الفصح .

وبينما هو يصف عظمة هذه الرقة والاتحاد العاطفي يبدو الفنان وكأنه يتطلع الى الصيفة السحرية التي ستتجاوز الزمن والتغير لتسترجمه الى الوجود :

« ان معبد قلبنا شبيه بالجوامع التي تقبع — من جانب الشرق — متثابة وغارقة في العطور » (٧) .

(٧) لو لم تمت البلدة ص ٤١٧ — ٤١٨ .

مثل هذا الوصف ليس وصفا ، انه نداء .

ان كتاب « لو لم تمت البذرة » سواء بوعي أو بدون وعي - ويحتمل أنه بوعي - هو دعوى للفهم ، دعوى للمشاركة الوجدانية . والوقت أصبح متأخرا الآن لانفساد ما تم . والوقت أصبح متأخرا الآن للحصول على أمل بتغيير حاسم في طبيعته ، حتى في طريقته في الحياة . ومع هذا يشعر جيد في الساعة الحادية عشرة ، أي قبل فوات الاوان بساعة كاملة ، بأن هذه الاشياء وكل الاشياء انما تشاهد في الضوء والثورة اللازمين ويمكن الا تكون قد ضاعت بعد . ولو كانت الفصاحة تملك أي سلاح لنزع السلاح فمن المؤكد ان القارئ يقترب من الانكشاف الحاسم بشيء من الرغبة في الفهم والتعاطف ، فنجد ان « علي » بوابه الصغير :

« . . . لم ينفد صبره منذ فترة طويلة من القيود المعقدة للعلاقات التي تقيده قيد الحزام ، وقد اخرج من جيبه مديّة ، ثم شطر - بخططة واحدة - الحيرة التي تنتابه . وقد وقع رداؤه ، وطرح صداره وانتصب عاريا كالرب . وفي لحظة رفع الى السماء ذراعيه المتجمدتين ثم ، ضاحكا ، ترك نفسه فوق اذائي . كان جسده على ما اعتقد متوهجا ولكنه بدا لي عندما لمستّه انه رطب اشبه بالظل . كم كان الرمل جميلا ! كم كانت روعة الليل ! واية اشعة تلك التي كانت تغمر فرحتي ! » (٨)

(٨) لو لم تمت البذرة ص ٥٦١ .

وبالمقارنة تبدو المفامرات بحثا عن « الحالة الطبيعية »
او الارتباط بهذه الحالة الطبيعية على الاقل غير ذات أهمية!
لقد نصحه الدكتور اندريا الذي استشاره بخصوص حالته
ان يمضي الشتاء في « لا بريفين » وهي قرية صغيرة في جورا .
وحتى تتم اشغال المنزل فان لديه فتاة سويسرية سمينية
وسوقية يسميها أوجستا ، وهو لا يجعلها فحسب داعرة
بل غير أمينة ايضا ، ذلك انها وهي تطلعه على صورة
لخطيبها - الذي تتحدث عنه دائما - وخزها بشكل أبله
بقلمه في عنقها ومن ثم حدثت الكارثة وهي تنهار بين ذراعيه
وهو متحير بشكل مخيف :

« ويجهد خارق حملتها الى متكا ، ولما كانت تتشبث
بي فقد كنت أضمرها الى صدري وهي بين ساقي المفتوحتين ،
وعندما خارت عزيمتي صرخت فجأة : (انني أسمع أصواتا)
وتظاهرت بالفزع وهربت من بين ذراعيها مثل جوزيف
وجريت لاغسل يدي » (٩) .

بالنسبة لايمانويل التي لم يمنعها توهجها الديني في
محبة الاغريق والاعجاب بهم ، الا يمكن ان تكون قد فهمت
شيئا من الجمال الوثني للحادثة التي وقعت في « ساوس »؟
من المؤكد ليس هناك اي شيء مشترك بينها وبين شخص
أوجستا المصابة بالهجاس . وفي الحقيقة لا (يرقى) « علي »

(٩) لو لم تمت البلدة من ٥٧٨ .

أو أوجستا لحبه لابنة عمه. لقد كان هذا حبا روحيا خالصا،
نقيا من أية روابط مادية منحطة. وعلى أية حال، من
الممكن أن يهزه الزواج فيوقظ فيه « الرغبات الطبيعية »
مهما تكن هذه الرغبات، ولكن سواء كان الأمر هكذا أم لم
يكن :

« اعتقد انني استطيع أن أعطيها نفسي وقد فعلت ذلك
دون أي تحفظ وبعد فترة من ذلك الحين صرنا خطيبين » (١٠)
ونهاية « لو لم تمت البذرة » هي بداية الدراما الكبرى لوجود
جيد : قصة زواجه. ولكن عندما كتبت عناصر القصة لم
يكن المقصود بها الجمهور. ويتألف كتاب Et lunc Manet
in te من مختارات من « المذكرات » التي احتفظ
بها طوال حياته والتي يرى بعض قراء جيد أعظم صروحه
الهائلة. ولأن « المذكرات » لم تكن هناك نية لنشرها في البداية
على الإطلاق (بالرغم من أن جيد في أخريات حياته تعود أن
ينشر مختارات منها) فإنها ظاهرة مختلفة تماما في نوعها
عن « لو لم تمت البذرة ».

تبدأ الاعترافات التي كتبت على غرار روسو بثقة
المؤلف في صحة رأيه. وهو لن يحكم عليه أو سوف لن
يحكم عليه إلا بقدر ما يساء فهمه أو سوف يساء فهمه.
وهو يعرضه للحقيقة — التي يعرفها يقينا — إنما هو على

(١٠) لو لم تمت البذرة ص ٦١٢ .

ثقة بأنه سوف يبريء نفسه . غير ان نقطة الانطلاق في « المذكرات » عكس الثقة تماما ، ان « مذكرات » جيد هي اسقاط للنفس في فعل اكتشاف ذاتها ، ويمكن التعبير عن قوتها الدامغة سلبيا كشك او ايجابيا كفضول وحب استطلاع .

الشك واضح منذ البداية وهو يؤثر في معظم أساس التجارب .

« لم يكن لدي فيما يتعلق بي الا (الشعر) (وانا اعطي لهذه الكلمة مدلولها الكبير) . واذا بدأت بنفسي فانه يخيل اليّ احيانا انني اتخيل انني اكون . ومن الاشياء التي يصعب عليّ اعتقادها هي واقعي انا . انني اهرب دائما ولا افهم تماما . وعندما انظر لنفسي وانا انفعل ارى ان الذي ينفعل هو نفسه الذي ينظر والذي يندهش ويشك في انه يستطيع ان يكون ممثلا ومتأملا في آن واحد » (١١) . هذا النص الخاص مستمد من يوميات ادوارد في « مزيفو النقود » : ولكن ليس هناك شك في ان ادوارد هنا انما يتكلم باسم جيد . و « المذكرات » مليئة بالتعينات المماثلة ، والتي يمكن تلخيصها في صيغة واحدة :

« من نفسي الى نفسي ، يالها من مسافة ! » (١٢) ان « المذكرات » ضمن اشياء اخرى هي محاولة لاقامة معبر

(١١) مزيفو النقود ص ١١٠ .

(١٢) المذكرات ص ٢٦٥ .

على هذه الهوة ، انها المرأة التي سوف يبحث جيد فيها عن حقيقته . وفي الحقيقة لا يمكن الفرار منها لانها الوسيلة الوحيدة التي يستطيع بها ان تواجه الحقيقة الموثوق بها . والى ان يراها منعكسة في يومياته ، فلا شيء يبدو حقيقيا بما فيه الكفاية بالنسبة له لتناوله بجدية .

غير ان المرأة تقوم بشيء اكثر من مجرد نقل الوجود ، انها تشبع الفضول ، وهو فضول يتخذ طابعا خاصا من ظرف انه موجه الى نفس الانسان : والنفس (الباطنية) هي موضوع الفضول :

« انه يريد ان يعلن ... ما هو شكل زوجه ... آه !
الا يمكن ان يعرف الانسان نفسه ... الا يعرف جماله !
... في مرآة ! مرآة ! مرآة ! » (١٣)

ومن الحق ان علاقة الصورة التي تعرضها المرأة بأية حقيقة مطلقة هي علاقة غير يقينية الى حد ما ، فالمظاهر خداعة ، فهي قد تكون متناقضة وهي في غالب الاحيان متناقضة حقا (١٤) : ولكن كيف يتأتى لنا ان نتصل بالحقيقة الا عن طريق ما نظهر به وما ندركه ؟ وهذا يطرح المشكلة الهامة ، مشكلة الاولية . هل يجب ان يكون الانسان اولاً لكي يبدو او على الانسان ان يبدو أولاً ثم يكون ما يبدو عليه؟

(١٣) نرجس ص ٢٠٨ .

(١٤) لو لم تمت البكرة ص ٤٢٢ ، ٢٨٦ ، ٢٦٢ .

ومجرد طرح المسألة بهذه الطريقة انما يوحي بميل الى القضية الثانية ، وهذا الميل هو ميل قوي في الحقيقة لدى جيد .

عندما يكتب كتابا لا يحاول أن ينقل الى صفحات مزاجا داخليا ماثلا من قبل ومكتملا داخله . ان الكتاب هو بالاحرى علة ذلك المزاج بمعنى انه يعطي ما هو واقعة واحدة من وقائع عديدة ، فيمطي « عادة محلية واسما » . الواقعة (منتقاة) بارادة وبشكل مؤقت (الوقائع الاخرى تكتب بشكل مؤقت) لتحقيق اهداف الكتاب ، وطبيعة الكتاب تحدد الشخصية ولا تحدد الشخصية طبيعة الكتاب : « الموضوعي ؟ الموضوعي ؟ هذه الكلمات تفقد هنا معناها » لانني لو استطعت ان ارسم ما يدور في مخيلتي (واحيانا يبدو لي انه لا يوجد رسم حقيقي لهذا) فاني اولا اكون قد صرت ذلك الذي اردت ان ارسمه « (١٥) » .

لقد اصبح الآن دور « المذكرات » أكثر اتضاحا ونحن نفهم على نحو أفضل السحر الذي مارسته المذكرات على جيد ، فكل تفصيلة تضيفها الى صورة جيد التي ترسمها ستلعب - في الواقع - دورا مشيرا ملهما بل حتى خلافا . تلك الصورة سوف تكون عملا فنيا بالمعنى الحرفي . ان الاغراءات عظيمة للغاية وكذلك المسئوليات .

(١٥) المذكرات ص ٧٢٧ .

وإذا كان هناك شكل محدد للطرح يتعارض بالفعل مع الاخلاص فان الاشكال الاخرى للطرح لها دور ايجابي قيم للعب وتستحق التشجيع عن غيرها . فاذا آمن المرء بانه فاضل وشجاع - مثلا - فان الانسان يجد نفسه بشكل نادر نتيجة ذلك الاقتناع وهو يتصرف على نحو فاضل او شجاع . وإذا كان هذا مرغويا فيه احيانا بهذه الطريقة لاعطاء النفس الثقة بفضائل معينة فان المرغوب فيه اكثر مد هذه الثقة الى فضائل أخرى :

« نظرا لان الثقة التي تمنحها لهذه الفضيلة تدفعهم وتشجعهم للحصول على الشيء الذي لم يحصل عليه من تلقاء نفسه والذي أوصله الى قوته الخاصة . ان بعض الناس يتمسكون بفضيلتهم لكي يتشبثوا برايتهم الذي يعرفونه او يأملون في اكثر من رأي ، انني سوف اصبح ما كنت اعتقده » . (١٦)

لقد كان جيد يقترب من الستين من عمره عندما كتب هذه الكلمات وهو لم يكتبها عفوا . انها كاشفة في الحقيقة بشكل غريب . انها تعرض وتشرح (من وجهة نظر جيد) الدراما المحورية لحياته خيرا من اي نص آخر .

ولقد رأينا أن عرض النفس هذا هو في الواقع (مشروع) ونحن باسقاط صورتنا عن انفسنا كمشروع نحب ان نكون

على غرارہ نمکن انفسنا - في ظروف معينة - من التوافق في الواقع مع تلك الصورة . المطلوب هو الايمان : يجب أن يكون لدي ايمان بنفسى والشخص الذي اعرض له الصورة يجب بالمثل أن تكون لديه ثقة بي . ولكن كل شيء ، يجب أن يكون لدي معيار أو سس بمقتضاه صورة نفسى التي اسقطها كمشروع . وجيد لا يتركنا أبدا حيارى معظم حياته حيث بحث عن ذلك المعيار :

« ... اننى لم اكتب سطورا الا اذا كان موحى به الى مباشرة .. » (١٧) . « ان كل اعمالى موجهة اليها ... وكل هذا ليس الا دفاعا طويلا » (١٨) .

وبالرغم من كتاب شلومبرجر الجميل يجب انصاف قصة مادلين واندرية جيد . فلو كان جيد - حسب مزاعم شلومبرجر - اقل عدالة لمادلين في كتاباته فان اعتذار شلومبرجر - الكريم والراسخ لمادلين ربما لا يكون عادلا بالمرّة لجيد . لكن شلومبرجر اكد بحق الحب العظيم (والثابت) الذي يوحد بينهما حتى في لحظات أعظم تعاستهما .

والتعاسة التي سببتها جنسية جيد المثلية لزوجته نادرا ما تقدر حق قدرها ، لكنها ليست أكبر من حبها واعجابها بزوجها . والاحباط الذي شعر به جيد في وجه تنديد مادلين

(١٧) مزيفو النقود ص ١٠٨ .

(١٨) المذكرات ، الجزء الثانى ص ١١٥٧ .

الثابت بكل شيء فيه يبدو لها فاضحا كاد يقوده الى شفا
الياس : لكن حكمها عليه هو الذي يهيمه اكثر دائما .

لم يكن استحسان امانويل وحده هو هدف كل مشروع
لجيد ، فموافقته على صورته هي - للاسباب التي نحن
نطرحها - شيء لا بد منه بالمعنى الحرفي :

« كان يبدو لي انني عن طريقها انني احيا وانني اشعر
بانني تابع لها » . (١٩)

« انني لا استطيع ان اتصور نفسي بدونها فانه يبدو
لي انه بدونها ليس هناك شيء » (٢٠)

« انني اعتقد انني لا اعيش بدونها » (٢١) « كانت
لي بمثابة الحقيقة » (٢٢) .

ونحن الآن في وضع يمكننا من فهم شيء من المسائل
الواردة في اهتمام واقع هو ان جيد ظل هدفا لكثير من
النقد المعادي .

في عام ١٩١٨ قام جيد برحلة الى انجلترا مع مارك
اليجرية الذي كان على علاقة حب به شديدة . وبعد

(١٩) المرجع السابق ص ٢٢٧ .

(٢٠) المرجع السابق ص ١١٥٤ .

(٢١) المرجع السابق ص ١١٥٥ .

(٢٢) المرجع السابق ص ١١٦٤ .

رحيله مباشرة احرقت مادلين كل رسائله . ولقد سجل
جيد الحادثة في « مذكراته » على النحو التالي :

« لقد بددت مادلين كل رسائلي . آه ! انني اعلم جيدا
كم عانت على اثر رحيلي مع مارك ولكن هل من حقها الانتقام
من الماضي ؟ ... (ان الشيء الافضل في نفسي هو الذي يرتحل)
ولا يعاد له الا الشيء الاسوأ . انني أشعر باننياري دفعة
واحدة » (٢٣) .

هذه الصيحة المخيفة ، صيحة الشجن والالام والنقمة
فيها شيء أكثر من مجرد التعبير عن الكرامة المجروحة ، فهي
مرتبطة ارتباطا وثيقا بالاطروحات التي نحن نناقشها :

« هل تفهم انها بذلك تذيل المنحنى الوحيد القائم في
ذاكرتي ؟ وهل في المستقبل سوف أجد ملاذا ؟ ان كل ما في
داخلي من حسن قد منحته لهذه الرسائل » (٢٤) . « انها
لم تكن - بصريح العبارة - رسائل حب ، ولكن حياتي كانت
ترسم امامها أولا بأول ويوما بيوم » (٢٥) .

ان حقيقة شخصية جيد - كما رأينا - هي بالنسبة
له نسبية ، وفي المقام الاخير ما من تجل من تجلياتها يحيط

(٢٣) المرجع السابق ١١٤٥ (ما بين القوسين مني انا) (المؤلف) .

(٢٤) المرجع السابق .

(٢٥) المرجع السابق ص ١١٤٧ .

بها أو يحددها ، حتى انه عندما تبدو الصور المختلفة للنفس يناقض بعضها بعضا لا يمكن أن يقال عن أحداها انها الصورة الحقة وتعد الصور الاخرى بالمقارنة معها زائفة . مثل هذا المعيار لا يمكن أن يطبق الا لو كان المظهر مقاربا للواقع . والآن ، اذا كانت الحركة (من) الواقع (نحو) المظهر مما ينكره جيد ، فاننا نرى العملية المسكرية هي الحاسمة . وبدلا من ان تبتعث الحقيقة المظهر ، نجد المظهر يبتعث الحقيقة : انني اميل الى أن أصبح ما أقول انا . ان ما يكون عليه مظهري (وما سوف يكون لهذا « في الواقع » حقيقتي) يتوقف على الصورة التي اتبعها . وموضوع السيرة الذاتية (أو المذكرات) يجري (ابداعه) بالطريقة نفسها التي تبدع بها الشخصية في الرواية . وهو نادرا ما يتجسد في أية حقيقة خارج الكلمة المكتوبة .

« انني آخذ في الاعتبار ، كما اتوقع أحيانا انني سأشارك في ذلك الذي (سوف يحدث) ولكن اذا جاز القول يجب علي أن أقر انني لم أتوصل حقيقة الى تصديق ذلك ، ولو تكلمنا صراحة ، فان ازدواج الشخصية يجعل من نفسي شخصا يبتغي أن ينظر للشخص الذي يتفاعل وليس على أنه هو الشخص الذي يتفاعل أو الذي يتألم » (٢٦) .

ومن السهل أن نفهم في ضوء هذا النص البارز أنه

(٢٦) المرجع السابق ص ١٢٢٦ - ١٢٢٧ .

حتى (منهج) كاتب الرواية سيستسلم لكاتب اليوميات أو المذكرات أو الاعترافات . وفي الحقيقة لامية للاخلاقى . والى المدى الذى يجد نفسه فيه قانعا بحقيقة مفرطة في التبسيط ومضللة ، فانه يضطرب في بحثه عن الحقيقة . انه مواجه بالمشكلة نفسها التي يواجهها الروائي الذي يبحث باخلاص عن تصوير شخص حقيقي (٢٧) . واذا أدرج الحقائق أو الوقائع على أساس أنها حقيقية فحسب وليس على أساس أنها كاشفة لأغراضه فانه يهدم النموذج الذي يحاول أن يخلقه . وهذا يزيف بالضرورة صورته ، فالحقيقة كامنة في النموذج وليس في الوقائع .

لهذا فان التفرقة بين الكتابة القائمة على السيرة الذاتية والروائية تفرقة تعسفية في الممارسة ، فكلاهما يعتمدان على خلق شخصية معبرة محملة برسالة . وهذه الحيلة محورية في فن جيد حتى انه عندما يبدو ان الآخرين ينكرونها عليه يجد صعوبة في الكتابة أصلا .

وقرب خاتمة رسالته يجد نفسه يتساءل ما اذا كانت الصعوبة التي يعانيها في الكتابة بأبداع لا يفسرها انه لم يعد يقضي داخله شخصا وهميا يستطيع ان يقدمه في اطار الرواية ، ومن ثم يجد نفسه يقتصر على التحدث باسمه . وهذه المسألة لافتة للنظر ، وهذا يحول بينه وبين

(٢٧) المرجع السابق ص ٥٤٧ .

الكتابة ، ولكن ليس هناك شك بأن الامر على هذا النحو مائل في ذهن جيد على الاقل . وهو لا يستطيع أن يفكر في وسيلة افضل - ولا أية وسيلة أخرى - للتغلب على هذه الصعوبة سوى أن يخترع من جديد « بطلا مطلق الصلاحية » يستطيع أن يزوده بالفصاحة التي يبدو أنها تنقص خالق هذا البطل ! (٢٨) وحتى رسائله الى مادلين هي عمل فني وسبب يأس جيد عندما أعدمت هذه الرسائل واضح الآن . ان مؤلف هذه الرسائل هو نسخة من نفسه يستطيع ايمانه وثقة مادلين أن تبثا فيها الواقع (٢٩) بقدر ما يستطيع أن تستمتع به نسخة أخرى من نفسه . وهي (افضل) النسخ .

وسحب تأييد مادلين لهذه النفس الخاصة هو ضربة مميتة لهذه النفس ، وطالما ان جيد يستمر في التوحيد بين نفسه وبين هذه النفس لا يكون لديه أي شعور طيب بالوجود ، يكون لديه شعور ميت بها . ومنذ وفاتها وهو يتظاهر بأنه حي ويشك بين الحين والحين ما اذا كان حيا حقاً (٣٠) ، واذا كان موجودا اذن فان الحياة « على السطح » (٣١) :

(٢٨) المرجع السابق ص ١٠٤٢ .

(٢٩) انظر الفصل الرابع .

(٣٠) المذكرات ص ٨٨٧ .

(٣١) المذكرات ص ١٠٤٤ .

« أجل ، انه كذلك . انني ميت بالفعل ، والذي اعيشه الآن هو نوع من العيش التكميلي لا اهمية له وهو لا يشجع على شيء » (٣٢) .

ولكن ليس هناك سبب يجعل هذا الكائن غير الملتزم يواصل توحيد نفسه مع النفس التي ماتت مع مادلين . وهناك سبب كاف يجعله لا يفعل .

وسلوك مادلين هو - في المقام الاخير - نقد ضمني . وهذا الحكم العكسي الخاص عن نفسه يرجع دون شك الى فشل الفهم والتعاطف من جانبها : ولكن الاحكام العكسية الاخرى ضده سائدة ولها تفسيرات أكثر ازعاجا . انه (يساء تقديمه) فلقد ألف أعداؤه وحشا اطلقوا عليه اسمه لكنه عاجز عن ان يجد في نفسه اي اثر من نفس يستطيع ان يرضى باعتناقها . ان جيد - لهذا - وهو يرفض ان يتبين نفسه في النسخ المختلفة لنفسه التي اقترحها النقاد ، يكرس نفسه لمهمته الاخيرة - وهو اهم مشروع لجيد - الا وهو ان يحتفظ بنفسه حيا . ولكي يتمكن من ان يفعل هذا يجب ان يرد النفس الى الحياة والثقة او يجب ان يرد الحياة والثقة الى النفس التي يعتبرها انعكاسه الحقيقي . النفس التي يريد ان يكون عليها .

« اضطرت ان اعيد تلقين نفسي الانانية ، واقتنعت بان

(٣٢) المذكرات ص ٦٩٧ .

بدون انانية لن اتوصل الى نجحي « (٣٣) . وهذا ليس مستحيلا ، وكان عليه ان يبحث عن مرآة اخرى غير عيني ايمائويل . وكانت هناك حاجة الى وضع جديد ، ولكن حياته كلها قد اعتادت ان يضع نفسه في اوضاع ، فقد اعتاد وهو شاب ان يجلس ويكتب امام مرآة (٣٤) وعندما أصبح مسنا لم يعد نادما .

ليس هناك شك في عودته الى نرجسية شبابه ، لكن كل فصل له سحره ، وهناك جماليات للسن المتقدم اكثر من جماليات لسن الشباب . ليست المسألة مسألة زهو جسماني ، انها مسألة عرض النفس - بكل احتراماتها - في ضوء جميل قدر بالامكان .

وان اهتمامه بالاناقة - لا اناقة الشخص بقدر ما هي اناقة تقديم نفسه للآخرين - ينم عن شعور واضح بما يدين به نفسه . ففي الصفحات الاخيرة التي كتبها وجد وقتا للتعليق على الغندرة التي يتهم بها احيانا .

ولكن هناك سبب عميق آخر يجعل صورة نفسه التي تركها للأجيال لا يجب ان تكون « منفرة للغاية » (٣٥) السبب انه يريد ان يجعل هذه مثالية :

(٣٣) المذكرات ص ١٢٣ .

(٣٤) المذكرات ص ٢٥٢ .

(٣٥) المذكرات ص ٢١٨ - ٢١٩ .

« ليس بأعماله يستطيع أي انسان محب للبشرية ان يكون صالحا ولا بضربه المثل ، انني أريد أن أقول بنظرته نفسها ، بالصورة التي يقترحها التي يتركها وبالشئ الذي يسمح له أن يستنشق السعادة والصفاء » (٣٦) .

ان مدى نجاح جيد في أن يخلف وراءه الصورة التي يريد أن يتركها للأجيال ، مسألة ستظل دائما موضع خلاف . لكن ربما كان أهم صفاتها جملة يمكن وصفها بين قوسين وهي كلمات قليلة يطبقها جيد على نفسه دون شك بشكل مطلق وحق : « انسان محب للانسانية » .

الفصل العاشر

تعليق وتقدّم

انه فكر رائع بالنسبة لرجل مات عام ١٩٥١ حتى انه لو لم يظل حيا بعد نشوب الحرب العالمية الاولى لظل كاتباً كبيراً حتى الآن . ونحن نجد كتبه « مذكرات اندريه والتر » و « بحث عن نرجس » ، « أشعار اندريه والتر » ، « رحلة الى أوربا » ، « مستنقعات » ، « محاولة حب » ، « المباهج الدنيوية » ، « فيلو كيت » ، « بروميثوس مقيدا » ، « الحاج » ، « رسائل الى انجيل » ، « الملك كندول » ، « اللا أخلاقي » ، « ادعاءات » ، « ادعاءات جديدة » ، « سول » ، « أقيتاس » ، « عودة الابن الضال » ، « الباب الضيق » ، « ايزابيل » - كلها نشرت حتى عام ١٩١١ و « كوريدون » و « كهوف الفاتيكان » اللذان كتب جزء منهما قبل عام ١٩١٤ - هذا اذا أغضينا الطرف عن « المذكرات » والمراسلات - اذا أضيفا الى القائمة السابقة تشكل حصيلة كبيرة .

وعلى أية حال فان ما يظل أكثر غرابة هو التفكير في ان

جيد لو كان قد مات في سن الخمسين لكانت شهرته قد ولدت بعد وفاته . فخارج دائرة أدبية صغيرة نسبيا ظل جيد حتى العقد الثاني من القرن العشرين (الذي وصل فيه الى عيد ميلاده الخمسين) مجهولا . ولقد نشرت كتبه على حسابه في طبعات صغيرة لم تلق نجاحا تجاريا .

ولقد كانت مبيعات « مذكرات اندريه والتر » بسيطة حتى انه قد طبعها على ورق خشن فيما عدا سبعين نسخة اضافية . ولقد نشرت « الا اخلاقي » في طبعة عددها ثلاثمائة نسخة ، ولم تبع « المباهج الدنيوية » الا خمسمائة نسخة في أحد عشر عاما وهو مثال صارخ .

هذه الحقائق هبطت شهرة جيد بتشويش المدى الذي نجح به ليكون البشير الذي اراد دائما ان يكونه . وعندما تمكن ارتباط الظروف وجمهور واسع بعد الحرب العالمية الاولى من خلق جمهور أعرض لمؤلفات جيد ، أصبحت كتبه — كما يقول جستين أوبريان — « أشبهه بقنبلة تأخر تفجيرها » (١) . واذا كانت رواية « المباهج الدنيوية » لم تقرأ طوال العشرين سنة الاولى من وجودها فقد التهمها أول جيل بعد الحرب من القراء ونحن نجد كثيرا من الشباب الذين « اكتشفوا » جيد حينذاك يندهشون وهم يعلمون ان « المباهج الدنيوية » قد كتبت قبل ان يولدوا على حد

(١) كتاب « صورة اندريه جيد » ص ٢٠٠ .

قول هنري ماسيس (٢) .

ومع هذا لو كان جيد قد انتظر الشهرة العريضة الى ان يصل الى الخمسين لكان قد أعلن به منذ بداية عمله الابداعي استاذا في فنه من قبل زملائه من الكتاب . وفي أوائل ١٨٩٠ أكد بير لويس لجان نافيل أن جيد « أمامه أعظم مستقبل » من كل معارفه من الادباء العديدين (٣) . ولقد اجتذب نشر « مذكرات أندريه والتر » رسائل اعجاب من مالارميه ومارسيل شوب ، ج - ك . هوسمانز ، بول بورجيه وبول فاليري الذي لم يكن معروفا بعد وجذب انتباه شارل مورا وهنري دي رينيه وموريس باريس وموريس ميترلينك وكاميل موكلير وآخرين . قد يكون المعجبون بجيد في بداية حياته قليلين : لكنهم ليسوا نكرات . وسرعان ما انضافت أصوات كلوديل وفرنسيس جيمز الى جوقه المعجبين . وأضاف رجال أصفر سنا مثل هنري جيون وادموند جالو وجاك كوبو وجاك بريفير جيلا أدبيا ثالثا للجيل الاقدم من المعجبين .

ودون استثناء كبير تمتع جيد في غيبة الجمهور العريض بالمصادقة الحماسية لخير ما في عالم الادب الفرنسي لعقدين من السنين : ١٨٩٠ - ١٩١٠ .

(٢) « من أندريه جيد الى مارسيل بروست » ص ٢٨ .

(٣) انظر كتاب بول ايسلر عام ١٩٢٧ .

وفي الحقيقة - وهذه مساهمة مذهلة - لم تتمرض روعة جيد اطلاقا لتحد خطر ، تحد من جانب ناقد ذي تأثير ليجعل الاتهام اقل سخرية .

ولقد انضم لكوبو وبريفير جيل مالرو الذي تبعه بدوره جيل سارتر وكامو ، وكان (صفوة) كل جيل يقدم لجيد معجبين جددا . وحتى ان اعداءه من بول كلودل الى هنري ماسيس اثنوا على استاذية جيد الفنية واعتبروه « المعاصر البارز (على الاطلاق) » (٤) .

وفي الحقيقة لم يكن فرنسيس جيمز قد ارتد بعد الى الكاثوليكية عندما أكد لجيد عام ١٨٩٤ : « انني أعجب بك من كل قلبي .. ولديك ما تقدمه اكثر من مجرد المواهب العظيمة ... »

ولكن قناعات كلوديل قد تبدلت واصبحت معارضة لجيد عندما كتب له عام ١٩٠٦ :

« اي كاتب ممتع انت ! »

وفي عام ١٩٢١ أكد شارل دي بوس لقرائه انه :

« اذا نظرنا الى جيد بكل بساطة ككاتب وكأستاذ وحمي للغة ، فان مكانته اليوم مكانة فريدة » (٥) .

(٤) « اندريه جيد » ليبير - كنت ص ٢٧٨ وما بعدها .

(٥) حوار مع اندريه جيد ص ٣ .

وفرنسوا موريالك الذي جاءت مرارة تعليقاته على جيد حادة ، بتذكر الفهم والرقعة اللذين كانا يميزان علاقته بانسان كان يعي انه يدين له بالكثير (٦) - ان فرنسوا موريالك يستطيع ان يتحدث بحكمة عن « الضوء النقي » في كتابة جيد (٧) . وحتى هنري ماسيس الذي خصص اكبر جانب من حياته للتنديد بجيد وكل اعماله يعترف اكثر من مرة بكمال فنه . فالفاسق الشيطاني في الدين والاخلاقيات هو في الوقت نفسه « الفنان » الكاتب دون منازع (٨) .

غير ان الكلمة الاخيرة بالنسبة لهذا الموضوع ترجع الى « لاوبزرفاتوري رومانو » الصحيفة الرسمية للفايكان حيث وجد كاتب بارز مناسبة للحديث عن « ذلك الصوت القوي الرقيق الذي يذكر بين الحين والحين بالطف صوت لكل ما هو عظيم في فرنسا ... » وكانت المناسبة وضع فهرس للكتب الممنوعة التي تشكل كل اعمال جيد . (٩)

فاذا كانت عظمة جيد ككاتب معترفا بها بشكل مطلق ، فان اعماله وحياته لم تخل من التعرض لامر الهجمات وهي هجمات تتعلق باخلاقياته الخاصة واعماله العامة وتأثيره

(٦) حوار مع أندريه جيد لكلود موريالك .

(٧) أندريه جيد لجبرارد ص ٢٣١ .

(٨) المرجع السابق ص ٦١ .

(٩) يوم ٢٤ أيار (مايو) ١٩٥٢ .

فوق كل شيء . ومما له دلالة ان هذه الهجمات تحدث اساسا من اتجاهات متعارضة وفي كل حالة من جانب نقاد تمتع في وقت ما بعلاقات صداقة معهم .

ومن اهم النقاد العديدين والملحين لجيد نجد الكاثوليك الرومان بطبيعة الحال، ولم تنجح احتجاجات كلودل وماريتان وغيرهم الخاصة في الحصول على حجب « كوريدون » و « لو لم تمت البذرة » وكانت هذه هي الموجة الكبرى الاولى للتنديد التي تنشب بمناسبة نشر هذين العملين . ولقد اضاف نقاد من امثال ايوجين مونتفور وهنري بيرو اصواتهم الى صوت هنري ماسيس لينضم اليهم الاب فيكتور بوسيل ورينيه شوب وعدد آخر من النقاد .

ويختلف عمل هؤلاء النقاد اختلافا كبيرا في كيفه من التنديد الارعن الاهوج الى المحاولة الجادة لطرح قضيته، لكنهم جميعا بالمثل وعلى نحو مباشر اعداء له .

وهؤلاء الكاثوليك الذين يقدرون قيمته وليس مجرد براعته كفنان ، مجموعة مهمة كبيرة . وكلوديل الذي يعد اعظمهم ، مخيب للامل في هذا المضمار . وفي اواخر ١٩٢٦ بالرغم من التعصب الاعمى الذي اخضع جيد له سرا كان لا يزال قادرا على ان يكتب : « ان مجراك لم يسر بعد ... انك واحد منذ اولئك الذين يكملون منحني كاملا في حين ان الآخرين لا يكادون يضعون الخطوط العريضة لبدايته - وهذا في الواقع هو احد الاسباب التي تدفعني الى ان اهتم بك -

وهو اهتمام يلعب فيه القلق دورا كبيرا بقدر ما يلعبه
الامل « (١٠)

وعندما أحبط رفض جيد السماح لكلوديل أن يمي
على ضميره هذا الامل ، لم يملك كلوديل الا ان يفرق في غضب
أعمى أخرق :

« لن أعترف بأن لديه أية المعية ... لقد قدم مثالا
مفزعا للجبن والضعف ... انه مسمم ... » (١١) .

والنقاد الكاثوليك الآخرون مثل جيمز ، جيون ودي
بوس يسلكون على نحو اقل بساطة . لقد اظهر لهم جيد
كثيرا من الرقة (كما فعل لكلوديل) ولقد أعجبوا به كثيرا
وطويلا مع احتفاظهم بالتزام الشعور بالتنديد به . ففرنسيس
جيمز على سبيل المثال (الذي دفع جيد من جيبه حتى ينشر
له اعماله الاولى) يكتب الى جيد يطلب منه أن يجد له ناشرا
لنشر عمله الادبي التافه .

وعلى أية حال ، ربما كان أهم نقاد جيد من الكاثوليك
الرومان شارل دي بوس الذي له ضعفه ، ونحن نجد جيد
بلمسة بارعة الخفة يذكرنا بهذا الضعف (١٣) : لكنه واحد

(١٠) مراسلات مع كلودل ص ٢٤٥ .

(١١) المرجع السابق ص ١٠٩٨ - ١٠٩٩ .

(١٢) المذكرات ص ١٠٩٨ - ١٠٩٩ .

(١٣) المذكرات ص ٩٦٤٦ ، ١٠٤٨ ، ١١٧٤ - ١١٧٥ ، ١١٩١ - ١١٩٢ .

من اهم النقاد الفرنسيين المحدثين وجاء اعجابه بعمل جيد
كبيرا حتى انه طرح جيد كمشكلة روحية .

ان تنديدات ماسيس العنيفة وغضب كلودل الشديد
ليست من شيم دي لوس . انه لا يستطيع ان يوفق بين
الاتهام بالشر الخبيث الذي يسم به ماسيس جيد وبين الرجل
او العمل الذي يعرفه تماما . وهو بطبيعة الحال لا يستطيع
مثل كلوديل ان ينكر ان جيد ليست له اية المعية . وفي الوقت
نفسه كان يأخذ على جيد ما يمكن ان يسمى الشحن . لقد
سمح جيد ذات مرة بل شجع اصدقاءه الكاثوليك الرومان (١٤)
على ان يعتقدوا انه كان على وشك التصالح مع الايمان
المسيحي ان لم يترد في الحقيقة الى الكاثوليكية الرومانية .
مثل هذا الارتداد - في نظر دي بوس - كان انتصارا كبيرا
كان دي بوسي سعيدا به للغاية . لكن جيد لم يترد وكان على
دي بوسي ان يعد عليه هذا الفشل .

ولقد قام بهذا ببراعة . ان دي بوس قد استغل فشل
جيد لانتاج الرواية التي تصور حياة المتشردين على طريقة
ديفو او فيلدغ والتي قصد جيدا ان يكتبها بعد « الباب
الضيق » وحيث تعد روايتا « كهوف الفاتيكان » و « مزيفو
النقود » غير كافيتين كبديل ، وذهب دي بوس الى ان جيد
قد فشل كروائي لانه تنقصه الانسانية حقا . قد تكون طبيعة

(١٤) اهدى جيد كتاب « نمكيدوانت ١ » لـ دي بوا .

جيد معقدة ، لكنها ليست ثرة (١٥) . انه ينقصه اريحية روائيين من امثال تولستوي او ديكنز الذين اعدوا تقديم الحياة في تنوعها وامتلائها .

ان استسلام الانسان للحياة هو دائما بالنسبة للروائي العظيم شرط خلاصه ، وانا مقتنع من جانبي انه نحو هذا الاستسلام قد انجذب مؤلف « مزيفو النقود » حتى ان هذه الحالة هي الحالة التي اراد ان يحققها . لكن تراجيديا جيد الخاصة تكمن من انه مهما تكن رغبته وحتى ارادته في الاستسلام رغبة مخلصة ، فانه لا يوجد شيء ليس قادرا عليه ، وان محاولاته نحو تحقيق هذه الفاية لا تنجح الا في اضاءة وتضمن تلك الاستحالة ... وهو في الرواية يعطينا حياته (هو) بالمعنى الحرفي والمثير في المصطلح ، لكن هذا هو كل ما يقدر عليه : انه لا يستطيع ان يمنح (الحياة) (١٦) .

هذا المعجز المزعم بالنسبة لجيد للهرب من الذاتية المحض وتحقيق حتى شكل التجاوز الذي يتعلق به للفاية، هو في نظر دي بوس نمط وانموذج فشل جيد بصفة عامة . يقول دي بوس ان جيد يتطلب (موضوعا) خارج نفسه ينزع نحوه : لكن ما من شيء فيه يبدو قادرا على تزويده بموضوع . ونحن نجد غابرييل مارسيل (١٧) وماسيس

(١٥) حوار مع اندريه جيد ص ١٤٥ .

(١٦) المرجع السابق ص ١٧٢ .

(١٧) عرض جديد للشباب ١٥ تموز (يوليو) ١٩٢٩ .

— الذي غير بالفعل أحد مقالاته بناء على طلب دي بوس الى « فشل أندريه جيد » (١٨) ، وحتى آرشابول (١٩) المتعاطف ، يتمسكون بنتائج دي بوس ويرفعانها علما .

ويسير معظم النقاد الكاثوليك الرومانيين على الدرب نفسه . وهم يذهبون الى أن جيد موهوب دون شك كفتان لكنه كإنسان منحط جسمانيا ونفسيا وخلقيا . وتأثيره ضار تماما لا لان مقاصده دائما شريرة كلها (وحتى ماسيس تخلى عن هذا) بل لان اصراره على رؤية ضعفه وفساده كقوة وفضيلة قد افضى الى ما أسماه دي بوس « انقلاب معمم » للقيم (٢٠) ، يستطيع فنه ان يجعلها مقبولة .

ويحاول فرنسوا موريالك في مقال يلخص موقف الكاثوليك الرومان المعاصرين تجاه جيد (٢١) ، ان يقدر السحر الذي مارسه جيد على كثير من الكاثوليك بما في ذلك نفسه . ولقد رأى المسألة في ضوء أن تاريخ جيد هو مخاطرة مسيحية ، تراجيديا مسيحية . ليس جيد في انظارهم ملحدا تماما ، انه مسيحي دمر نفسه خلال صراع طويل ومزير مع الايمان بينما هم يسمعون شغوفين — ولكن

(١٨) احكام لاسيس ص ٢٧٥ .

(١٩) انسانية أندريه جيد .

(٢٠) حوار مع أندريه جيد ص ٢١٧ .

(٢١) مجلة نوبيل ريفيو فرانسييس . تشرين ثان (نوفمبر) ١٩٥١ .

عاجزين - أن يخلصوه .

ولا شك أن اعتناق جيد لقضية الشيوعية قد ختم على هذا المعتقد ودعمه : لكن هذا لم يتسبب في أن يصبح له أصدقاء جدد . أن طبيعة عمل جيد قبل « انقلابه » - باستثناء عمله البارز « رحلة الى الكونغو » - كانت حجر عثرة في طريق المعجبين الجدد به . وهنا أيضا نجد أن فشله في إنتاج رواية واقعية هو مصدر حيرة لأولئك الذين يشعرون بأنهم مدعوون الآن للتشكك في عبقريته .

فمثلا ، لم يتمالك ايليا اهرنبورغ الا ان يقول ان جيد لم ينجح في إنتاج مثل هذه الرواية : لكن - كما يقول عند هذه الرحلة - ليس الخطأ خطأ جيد . يقول اهرنبورغ ان جيد ولد ليكون الروائي الكبير للمجتمع ، لكن المجتمع الذي يعيش فيه مخل للدرجة لا تمكنه من ان يقدم له النماذج الجديرة بفنه (٢٢) .

ولدى جان جيونو تحفظات أكثر ، فجيد - في نظره - هو دائما فنان بورجوازي لا يجب تناول عاطفته ازاء العدالة والثورة الاجتماعية بشكل جاد . والمصاعب والاضطرابات التي يتحدث عنها غير حقيقية حسب رأي جيونو : فجيد لم يترك اطلاقا مقعده المريح ذا المسندين (٢٣) .

(٢٢) ايليا اهرنبورغ عام ١٩٢٤ .

(٢٣) مجلة « يوروب » ١٥ تشرين ثان (نوفمبر) ١٩٢٠ .

لكن الامر كان مماثلا في المعسكر الشيوعي لما في الجناح الكاثوليكي ، فقد ذكر لويس مارتن - شوفيه مثلا :

لقد بلغ جيد ذروة عظمته يوم ان التزم . ولقد اُطيح بسجله السابق بضربة واحدة : لم يكن التردد في الماضي رفضا كما لم يكن علامة ضعف ، بل حرص شديد لكي يلتزم عندما يستطيع ان يتأكد من التزامه على نحو سليم (٢٤). وبمناسبة زيارة جيد لجامعة موسكو رفع الطلبة لافتات كتبت عليها عبارة لهنري باربوس مؤلف رواية « الجحيم » : انه انسان يقف اخلاصه على قدم المساواة مع مواهبه العظيمة . (٢٥)

ومهما تكن التحفظات التي شعر بها اهرنبورغ فدفعته الى ان يتحدث عن انجازه الحقيقي ككاتب ، فقد تحدث باسم رفاق جيد الجدد وهو يقدمه في اجتماع شيوعي :

ان حضور هذا الرجل يملؤنا بكبرياء جميل ، كبرياء سلاح فخور بالقلعة التي قد قوضها في التو (٢٦) .

ولكن اذا كان تعلق جيد بقضية الشيوعية قد حمل اليه وفرة من الاعجاب ، فان انسلاخه عن الشيوعية قد

(٢٤) اندريه جيد ص ٣٧٥ وما بعدها .

(٢٥) الادب الملتزم ص ١٢٥ .

(٢٦) اهرنبورغ ص ٢٠٥ .

حمل اليه تنديدا أشد . فقد قال جان جيونو « لقد قلت لك » (٢٧) وبعد هذا من ردود الفعل المعتدلة . كما غير اهرنبورغ من لهجته :

... أمام عيني رأيت أندريه جيد وقبضته مرتفعة وهو يتسم لآلاف من العمال الساذجين . واستطيع ان أسمع صوته ... « انني أؤمن بشدة بالجمهوريين الاسبان : ولا أستطيع النوم بسبب التفكير فيهم » . انه امر مقزز ويدعو الى الاسى . لقد ظلوا بشرة لجسد طبقتهم كدوهامل المفكر الحر وجيد الشيوعي (٢٨) .

وهذه هي نفمة المقال الذي نشره بيير شيزر في « الانسان الضائع » في كانون الاول (ديسمبر) ١٩٣٦ تحت عنوان مهذب (تصعب ترجمته) : « الماخور الخراب : أندريه جيد » ! الذي اقتبست منه ايفون دافيت هذه الجملة (٢٩) :

« بطبيعة الحال ليس هناك سر في ان اخلاقيات جيد تطالب بان تعرض اليد التي تداعبك وان على الانسان أن يبصق في وجه من يعتني بك .

(٢٧) الادب الملتمزم ص ٢٠٢ وما بعدها .

(٢٨) الادب الملتمزم ص ١٩٧ .

(٢٩) الادب الملتمزم ص ١٤٧ - ١٤٨ .

وبالرغم من أن هناك نقادا شيوعيين آخرين من أمثال أراجون وأندريه وورمس وجورج فريدمان أو رومان رولان قد برهنوا على قدرتهم على الاعتدال في أشكال تقديمهم له، فإن كراهية الشيوعيين لجيد لا مثيل لها (٣٠) .

وجيد يذهب دائما الى انه لم يتحول أبدا عن قضية الثورة الاجتماعية . انه ندد بالشيوعية الستالينية لانه كان مقتنعا بأن ستالين قد خان تلك القضية ، لكنه لم يبحث عن أي حليف في صفوف اليمين السياسي وامتنع عن الهجوم على أولئك الذين لم يتوددوا في شبه طالما انه يتبين ولو اثرا واهنا من الإيمان الطيب فيهم . وان تسامحه الصبور في تناول جيونو مثلاً أو السندري أوشيز (٣١) لهو مثال صارخ على هذا . ولقد أدى نشوب الحرب عام ١٩٣٩ الى تنحية الجدل السياسي ومع نهاية الحرب خفت انسلاخ جيد عن الشيوعيين .

ولم يتوقف نمو مكانته ككاتب وقبل موته بفترة طويلة لم يعد هناك شك في انه كاتب كلاسيكي عظيم . وفي النهاية أعرب حتى الكاثوليك الرومان عن أسفهم لنفمة بعض هجماتهم (٣٢) أما الشيوعيون فقد ظلوا وحدهم عنيدين .

(٣٠) سارتر في الازمنة الحديثة آذار (مارس) ١٩٥١ .

(٣١) الادب الملزم ص ١٢ .

(٣٢) ماسيس : احكام ص ٦٢ .

وعلى أية حال ، فإن الكتب المحدثه عن جيد التي لا تترك الا حيزا بسيطا للتحاملات الشخصية المحتملة (٣٣) ليست ممضلة في طابعها او حتى نقدية للغاية ، فهي دراسات استكشافية تهدف الى الايضاح اكثر مما تهدف الى اصدار حكم بقيمة .

ومما له قيمة بصفة خاصة ذكريات هامة من اصدقائه من أمثال شلومبرجر وروجر مارتن دي جار او الرجال الاصفر من أمثال كلود موريك ، وهناك دراسات أكاديمية محضه نجدها في دراسة السيدة ايفون دافيت : « مؤلف (المباهج الدنيوية) » او دراسة جان ديلاي « شباب اندريه جيد (٣٤) » .

وربما يحظى جيد بأكبر تكريم في عقول خلفائه واتباعه . فالكاتب الذي لقي ظهوره الاول استحسانا من جانب مالارمييه والذي أسماه مالرو في نضجه « أعظم الكتاب الفرنسيين الاحياء » (٣٥) قد حياه في نهاية حياته كل من البر كامو وجان بول سارتر . يقول كامو : « لقد سيطر جيد على شبابي » وبالرغم من سنوات الحرب التي غيرت العالم « لم أنس الامتلاء والضوء اللذين بدأت فيهما حياتي ولست أفضل اطلاقا اي شيء عليهما . وأنا لم أندد اطلاقا

(٣٣) بحثا عن اندريه جيد عام ١٩٥٢ .

(٣٤) ارجع الى قائمة المراجع .

(٣٥) انظر ليون بيير - كونيت .

بجيد . « (٣٦) .

وفي مجلة « الازمنة الحديثة » تحدث سارتر في آذار (مارس) ١٩٥١ في ما أسماه كامو « البيعة المثالية » عن خليط التدبر والشجاعة الذي رأى فيه المعالم الأساسية لجيد والخصائص التي أفضت به الى « أن يتأنى في حكمه الى أن ظهرت الحقيقة جلية وعندما أصبح مقتنعا فانه أصبح مستعدا لكي يدفع ثمن تلك القناعة لآخر قرش » .

لقد كان جيد في نظر سارتر اكثر من مجرد فنان ممتاز ، فقد ظل طوال ثلاثين عاما يمثل قوة من القوى الحيوية في الحياة الروحية لفرنسا ، ومن ثم فلا يمكن تجاهله .

ان الفكر الفرنسي جميعه طوال الثلاثين سنة الاخيرة مهما كان سنداها الآخر هيجل او كيركجورد كان مضطرا الى أن يحدد موقفه (أيضا) بالنسبة لجيد .

لكن جيد يمثل شيئا اكثر من هذا ، وسارتر يصرف هذا :

ان جيد هو مثال لا يمكن استبداله لانه اختار (أن يكون حقيقته) .

وهذا هو الشئ الذي يوده جيد .

(٣٦) مجلة نوفيل ديفيو فرانيس تشرين لان (نوفمبر) ١٩٥١ .

المراجع

مؤلفات جيد

المجلد الاول

مقدمة بقلم ل . مارتن - شوفيه . مقتطفات من :
« التربية العاطفية الجديدة » - مذكرات عن رحلة الى
بريطانيا - مذكرات اندريه والتر (١٨٩١) - اشعار اندريه
والتر (١٨٩٢) - تصدير للطبعة المعتمدة لكتاب « اندريه
والتر » - بحث عن نرجس (١٨٩١) - تجربة حب (١٨٩٣)
مشاهد طبيعية - اشعار - رحلة الى اوربا (١٨٩٣) -
مستنقعات (١٨٩٥) مذكرات ١٨٨٩ - ١٨٩٥ - وقائع ١٨٩٢
- ١٨٩٣ وسائل .

المجلد الثاني

وقائع الطريق - الباهج الدنيوية (١٨٩٧) تصدير
لطبعة ١٩٢٧ - سول (١٩٠٣) تأملات في بعض نقاط الادب
والاخلاق (١٨٩٧) فيما يختص بالمستأصلين من الارض -
سنيفن مالارميه - وقائع - رسائل .

المجلد الثالث

موبسوس - فيلكتيتس (١٨٩٩) - الحاج (١٨٩٩) -
بروميثيوس مقيدا (١٨٩٩) - رسائل الى أنجيل ١٨٩٨-١٩٠٠ -
تذييل - حول المؤثرات في الادب (١٩٠٠) من بيسكرا الى
طاغور - الملك كاندول (١٩٠١) - حدود الفن (١٩٠١)
بعض الكتب - ملحق ، تذييل . أوسكار وايلد (١٩٠٣)
- صورة المؤلف - مذكرات ١٩٠٢ - رسائل .

المجلد الرابع

اللااخلاقي (١٩٠٢) - سينورينا ايمانويل - أهمية الجمهور -
(١٩٠٣) - تطور المسرح (١٩٠٤) بيتسابيه (١٩١٢) -
العدول عن السفر - بروسرين (١٩٤٨) أجاكس - تواريخ
الصومعة - اشجار الحور - رد على بحث عن تأثير المانيا
- موريس دنيس - نزهة في صالون الخريف - في خدمة
المانيا - ج . م . دي هيريديا - الاباحة والتحريمات وبيانات
دي م . السيناتور بيرنجيه - « تجريح » أوسكار وايلد :
تذييل - مذكرات ١٩٠٣ - ١٩٠٦ - رسائل .

المجلد الخامس

عودة الابن الضال (١٩٠٧) دوستوفسكي من خلال
رسائله (١٩٠٨) الباب الضيق (١٩٠٩) بعض الكتب - ملحق -
ضد المارميه - مميزات الاداب - مذكرات ١٩٠٦ - ١٩٠٩ -
رسائل .

المجلد السادس

القومية والادب - أربع أغنيات - مذكرات ليس لها تاريخ - ملحق - شارل لويس فيليب (١٩١١) ايزابيل (١٩١١) الهاوي دي ريميه جورمو - على هامش فينيدون لجول لاميتير - بودلير وفوجيه - سويسرا بين لفتين - إقراءات « الاخوة كرامازوف » - قضايا - وقائع - مذكرات ١٩٠٩ - ١٩١١ - رسائل .

المجلد السابع

ذكريات في بلاط العزيز - ملحق (١٩١٤) - كهوف الفاتيكان (١٩١٤) فرلان ومالارميه - الروايات الفرنسية العشر - الزحف التركي - تيوفيل جوتييه - تصدير لديوان « ازهار الشر » - وقائع - مذكرات ١٩١٢ - ١٩١٤ .

المجلد الثامن

مذكرات ١٩١٤ - ١٩١٩ مقدمة لـ « تومكيدوانت . . ٤٠ » وقائع - تصدير لرسائل دي دوبوي - رسائل .

المجلد التاسع

السيمفونية الرغوية (١٩١٩) - المباهج الجديدة - تأملات حول المانيا - حديث مع الماني - نظرات في الاسطورة اليونانية - عبرة - أزمة فرنسية - كوريدون (١٩٢٤) -

وقائع غير منشورة - مذكرات ١٩١٦ - ١٩١٩ - رسائل .

المجلد العاشر

أميل فرهايرن (١٩٢٧) - يابابا - رد على بحث عن
الكلاسية - لو لم تمت البذرة (١٩٢٦) مشروع تصدير لكتاب
لو لم تمت البذرة - المباهج الجديدة - وقائع - مذكرات
١٩٢٠ - ١٩٢١ رسائل .

المجلد الحادي عشر

مقابلات - صفحات من دي لافكاديو - صفحات لم
تنشر - تذاكر لانجيل - رسائل صريحة - مصر اوربا -
تصدير لكتاب « مدام دي بيك » دوستويفسكي : تذييل
(١٩٢٣) مذكرات ١٩٢٢ - ١٩٢٣ .

المجلد الثاني عشر

خصائص (١٩٢٥) مزيفو النقود (١٩٢٦) رسائل .

المجلد الثالث عشر

مذكرات عن مزيفي النقود : ملحق (١٩٢٦) رحلة الى
الكونغو ، ملحق (١٩٢٧) دنديكي (١٩٢٧) وقائع - مذكرات
١٩٢٤ - ١٩٢٥ .

المجلد الرابع عشر

جولة في تشاد : ملاحق (١٩٢٨) الخطر في أفريقيا
الاستوائية - الساعة الاخيرة - وقائع - مذكرات ١٩٢٦ -
١٩٢٨ - رسائل .

المجلد الخامس عشر

دراسة عن مونتني ، ملحق عن مونتني (١٩٢٩) -
الشباب - ملاحظات عن شوبان - مذكرات ١٩٢٨ - ١٩٣٢ -
تلقينات - وقائع - رسائل .

مراجع عن جيد

(١) بالانجليزية

آمز : اندريه جيد (١٩٤٧) .
براشفيلد : اندريه جيد والاغراء الشيوعي (١٩٥٩) .
كروسمان (مشرفا) : الرب الذي فشل (١٩٤٩) .
جيرارد : اندريه جيد (١٩٥١) .
مارش : جيد وصوت السماء (١٩٥٢) .
ماكلارن : مسرح اندريه جيد (١٩٥٣) .
اوبرين : صورة اندريه جيد سيرة نقدية (١٩٥٣) .
بينتر : اندريه جيد ، دراسة نقدية وسيرة ذاتية
(١٩٥١) .

ستاركي : اندريه جيد (١٩٥٤) .
توماس : اندريه جيد : اخلاق الفنان (١٩٥٠) .

الدراسات الفرنسية لجامعة ييل : اندريه جيد ١٨٦٩ -

١٩٥١ .

(ب) بالفرنسية (١٩١)

آرشمبول : انسانية اندريه جيد ، دراسة في السيرة الذاتية والنقد التحليلي النفسي (١٩٤٦) .

بندا : فرنسا البيزنطية (١٩٥٤) .

بريه : اندريه جيد (١٩٥٣) .

ديلاي : شباب اندريه جيد (١٩٥٦ - ١٩٥٨) .

دي بوس : حوار مع اندريه جيد (١٩٤٧) .

فرنانديز : اندريه جيد (١٩٣١) .

هيتيه : اندريه جيد (١٩٥٤) .

لافيل : اندريه جيد ، الرومانتي (١٩٥٤) .

١٩٥١ (١٩٥٤) .

لافيل : اندريه جيد في الصحافة الفرنسية من ١٨٩٠

الى ١٩٥١ .

لانج : اندريه جيد والتفكير الالماني ١٩٥٤ .

مارتن دي جار : ملاحظات حول اندريه جيد ١٩١٢ -

١٩٥١ (١٩٥١) .

ماسيس : من اندريه جيد الى مارسل بروست (١٩٤٨) .

ماسيس : اندريه جيد (١٩٤٨) .

ماسيس : تأملات حول فن الرواية (١٩٢٧)

ماسيس : أحكام - المجلد الثاني (١٩٢٩) .

- نافيل : اندريه جيد والشيوعية (١٩٣٦) .
 ريفير : دراسات (١٩٢٤) .
 بير - كنت : اندريه جيد ، حياته وأعماله (١٩٥٢) .
 شلومبرجر : مادلين واندريه جيد ، ووجوههما المؤتلفة
 (١٩٥٦) .
 تيري : جيد (١٩٦٢) .
 والش : اندريه جيد وعصرنا (١٩٣٥) .

المحتويات

ص	(١) مدخل
٥	(٢) اندريه والتر
١١	(٣) المباهج الدنيوية
٢٢	(٤) اللا اخلاقي - الباب الضيق
٣٦	(٥) كهوف الفاتيكان
٧٠	(٦) كوريدون
٨٤	(٧) مزيفو النقود
٩٣	(٨) جيد والشيوعية
١١٠.٥	(٩) الكتابات الشخصية
١١٣٤	(١٠) تعليق وتقد
١١٤٦	(١١) مؤلفات جيد
١٦٢	

الإشراف اللغوي: حسام عبد العزيز
الإشراف الفني: حسن كامل
التصميم الأساسي للغلاف: أسامة العبد

تم طبع هذا الكتاب من نسخة قديمة مطبوع

